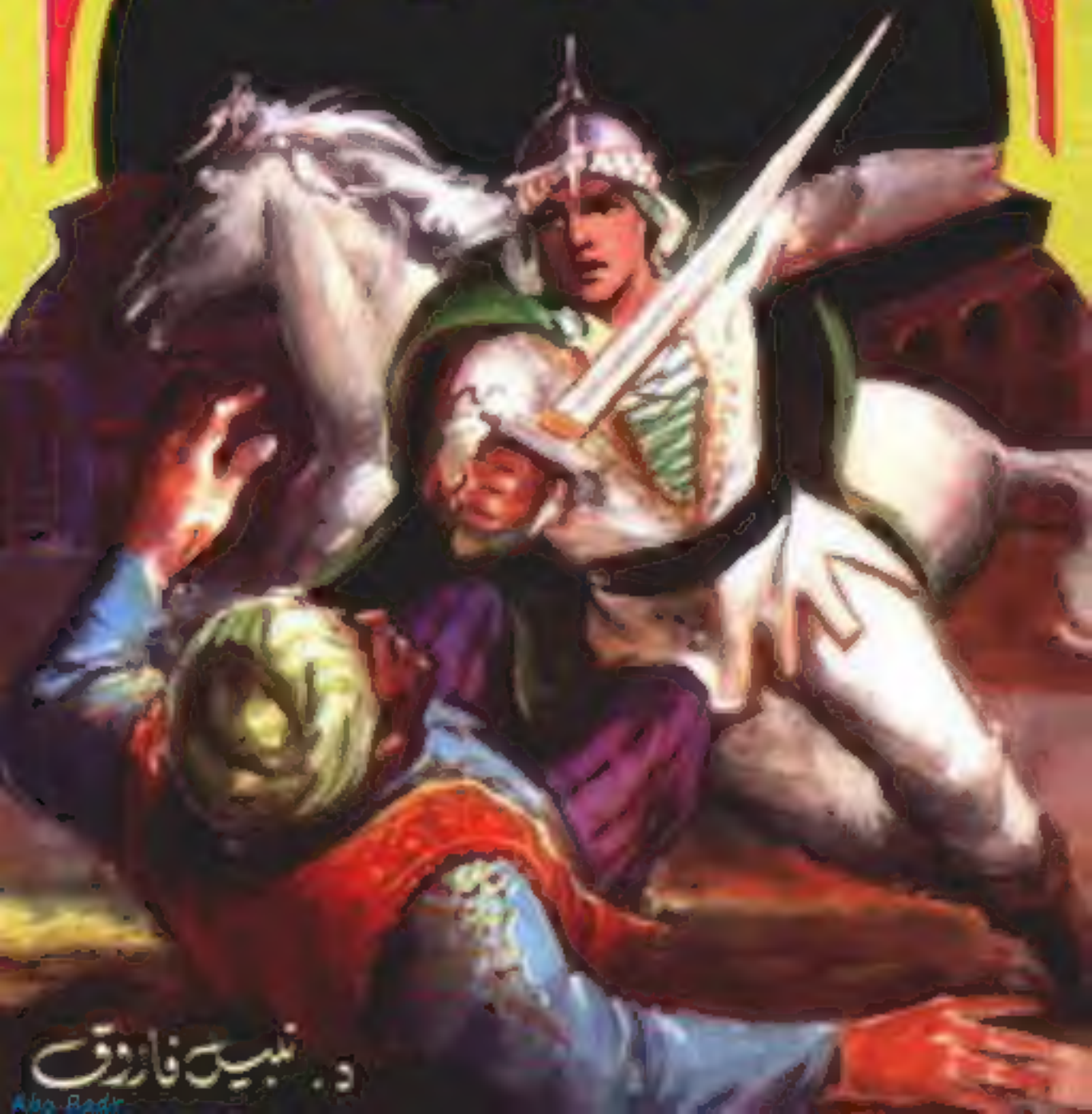


روايات
مصرية
للجيب

فارس الأندلس

جاسوس قرطبة



د. نبيل فاروق

Abu Badr

١ - الفارس ..

انتفضت معرفة جواد عروى أصيل ، وتطارت في لغومة ،
قبل أن تستقر على جبين الجواد الأبيض القوى ، الذي رفع
رأسه ، يستقبل الحيط الأول للشمس ، مطلقاً صهيلاً خافقاً ،
وضارها الأرض بموافره في رفق ، ثم مال برأسه ، وهو يديرها
إلى عجمة كبيرة ، داعب أستارها بمنجمره ، وهو يواصل صهيله
الخافت ، قبل أن تمتد يد قوية ، ترفع الأستار في هدوء ، ويبرز
من العجمة شاب قوى ، ممشوق القوام ، متين البنية ، وسيم
الطلعة ، حليق الوجه ، السدلت لحصلة من شعره الفاحم
الناعم على جبينه ، وابتسم الشاب وهو يربّت على عنق الجواد
الأبيض ، قائلاً :

— صباح الخير يا رفيق العمر . هل نعمت بنوم جيد الليلة ؟
أطلق الجواد الجميل صهيلاً آخر ، وهو يمسح رأسه وعنقه
بصدر الشاب القوى ، الذي واصل تزيينه على عنق جواده ،
وراح يمرر أصابعه في معرفته الناعمة ، حتى سمع صولاً حائلاً
يقول في نبرة طيبة :

من بين أوراق التاريخ جاء ..

من قلب الحضارة والأمل ظهر ..

من أجل العدالة والحق كان ..

رمز الماضي والحاضر والمستقبل ..

الفارس ..

فارس الأندلس ..

د. نبيل فاروق

— صباح الخير يا ولدي

تخلى الشاب عن جواده الأبيض ، والتفت إلى صاحب الصوت ، واعتدل في احترام ، وهو يقول للشيخ الأشيب ، ذى اللحية البيضاء الوقور ، والوجه المهيب :

— صباح الخير يا عمّاه

ابتسم له الشيخ ابتسامة حانية ، ثم انجه نحو صخرة كبيرة مصقولة ، واتخذها مجلساً له ، والتفت إلى خيمة ثلاثة صغيرة ، وهو يسأل :

— ألم يستيقظ (مهاب) بعد ؟

برز من الخيمة الثالثة رجل أشيب القودنين ، واضح القوة ، تنالت الشُعيرات البيضاء — على نحو عشوائى — في لحية القصيرة وشاربه ، وهو يقول في تراخ :

— لقد استيقظت يا سيدي .

سأله الشاب في خلف .

— ما رأيك في قليل من الرياضة ؟

عقد (مهاب) حاجبيه ، ومطّ شفتيه ، قائلاً :

— أليس من الطيبي أن يتناول المرء طعام إفطاره أولاً ؟

أطلق الشاب ضحكة مرحة ، وقال :

— صدقت .

وبمهارة ورشاقة مثيرتين للإعجاب ، وثب الشاب بعنقه صهوة جواده ، وجذب معرفة الجواد ، الذى رفع قائميه الأماميتين ، وأطلق صهيلًا حماسيًا قويًا ، وانجذعت عيناه في جَذَل ، قبل أن يضرب الأرض بقوائمها ، وينطلق براكبه ، دائرًا حول الخيام الثلاث ، في حين أمال الشاب جسده على نحو مدهش ، ليلقط قوسه وبخفة سهامه ، ثم اعتدل وهو يضرب بطن جواده بكفيه في رفق وحزم ، وانطلق الجواد الأبيض الشاهق يخطى براكبه في الأفق القريب ، (ومهاب) يتف في تكاسل :

— لا تخسر أرتبًا .. لقد سئمت الأرباب على الإفطار .

ثم تنهد في صمت ، واستطرد :

— كم هو رائع هذا الشاب !

ابتسم الشيخ ابتسامة حانية ، وهو يتطلع إلى الأفق ، حيث

اخفى الشاب وجواده ، وقال في لهجة تحمل شيئًا من الحزن :

— إنه يذكرني بوالده (رحمه الله) .

تنهد (مهاب) مرة أخرى ، وقال :

— كان (رحمه الله) أعظم فرسان (الأندلس) .

زَان عليهما الصمت لحظات ، اتجه خلالها (مهاب) إلى
عيمته ، وعاد حاملاً سيفه وجراحه ، وتغلق بهما ، وهو يقطع
حمل الصمت ، سائلاً الشيخ :
— أظن أن الشاب قد بلغ المدى المطلوب يا سيدي
الوزير ، فلقد صارت ذراعه قوية ، تحمل السيف ، وتضرب به
في صلابة وحزم ، ويهدر أن تخطي سهامه هدفها ، كما أنه يمتلك
قلباً بأسلاً ، لا يخشى في الحق لومة لائم ، ونفساً شجاعة ،
لا تنهاب أشد الغاطر ، ولا أعظم الشدائد .. ألم تهجن وقت
انطلاقه بعد ؟

شرد الشيخ ببصره في الأفق ، وقال :
— إنني أنتظر إشارة البدء يا ولدي ، فلقد أعددت
(فارس) طيلة الأعوام العشرين الماضية ، للذود عن
(الأندلس) ، قبل أن تغرب شمس العرب فيها ، ولقد وعدت
والده (رحمه الله) على أن أصبح منه أعظم فرسان
(الأندلس) ، وأن أجعله سيف الله (سبحانه وتعالى) فيها .
ثم التفت إلى (مهاب) ، مستطرداً في حزم :
— ولكن حذار أن تخاطبني أمامه بلقب (الوزير) ، فهو
لا يعلم بعد حقيقة منته ، ولا نبل محبته ، والأفضل أن يبقى
كذلك ، حتى تحين اللحظة المناسبة .

ابتسم (مهاب) ، وقال :
— ومتى تحين اللحظة المناسبة ؟
رفع الشيخ عينيه إلى قرص الشمس ، الذي يتصاعد في
الأفق ، وأجاب في حزم :
— عندما تشرق شمسنا على (الأندلس) مرة أخرى ،
وتصبح مؤقلاً لاستعادة عرش أبيه ، وملك (الأندلس) .
أشار (مهاب) إلى الأفق ، وابتسم قائلاً :
— ها هو ذا .. لقد عاد .

التفت الشيخ إلى حيث يشير (مهاب) ، وابتسم في
ارتياح ، وهو يتابع (فارس) ، الذي يقترب على صهوة
جواده ، وابتسامة القوة والثقة تتألق على وجهه الوسيم ، حتى
بلغ موقع الشيخ و (مهاب) ، فألقى غزالاً إلى (مهاب) ،
وهو يقول :
— لحذاً أيها الشره .. لقد أبدلت بوجبة الأرائب غزالاً
صغيراً هذا الصباح .

ابتسم (مهاب) ، وهو يحمل الغزال إلى منضدة الشواء ،
قائلاً :
— كم سهماً استخدمت لصيده ؟



استدارت العيون كلها إلى حيث يشر ، وتعلقت الأبصار بجواد أسود
حالك السواد ، ينطلق متجهًا إلى حيث الحيام ..

أجابه (فارس) ، وهو يهبط عن الجواد :
— واحدًا .
السعت اهتمام (مهاب) ، وهو يقول :
— كنت أتوقع هذا .
القط (فارس) سيفه ، ولوح به ، هاتفا :
— والآن مارأيك في مبارزة قصيرة ، حتى تفوح رائحة
الشواء .
أطلق (مهاب) ضحكة قصيرة ، وقال :
— لا بأس .
واسفل سيفه بدوَّره ..
وتفارعت السيوف ..
وتردد الصليل في الوادي ، والفارسان يتبارزان في قوة
وغنغوان ، والشيخ يتابع المبارزة في اهتمام بالغ ، حتى توقف
(مهاب) فجأة عن المبارزة ، وهتف مشيرًا إلى الأفق :
— الفهد ..

استدارت العيون كلها إلى حيث يشر ، وتعلقت الأبصار
بجواد أسود حالك السواد ، ينطلق متجهًا إلى حيث الحيام
الثلث ، وعلى مته زنجي مفصول العضلات ، بارز الصدر ،

كثيف الشعر ، يرندي على صدره العاري صَدْرَهُ الْمُزَكَّش
الْأَسْوَد ، الذي يكاد يستحيل تمييزه عن جسده ، أو جواده ،
مما جعل ثلاثهم يدون ككتلة من اللون الأسود ، دب فيها
النشاط ..

والقرب الزنجي حتى بلغ موقع الثلاثة ، ثم قفز عن جواده ،
وانحنى أمام (فارس) في احترام بالغ ، قبل أن ينهض متجهًا نحو
الشيخ ، ولكن (فارس) أمسك كفه في قوة ، وهو يستوقفه
قائلًا :

— مهلاً يا (فهد) .. لماذا تنحني أمامي دوماً ؟

لم يجب (فهد) ..

بل لم تنفج شفاه ..

لقد بقي يتطلع إلى وجه (فارس) في توفير واحترام
وصمت ، كأنما قد استحال إلى تمثال من الآبنوس^(*) ، حتى
قال الشيخ في حزم :

(*) الآبنوس : خشب أسود اللون ، لعدد من الأشجار الاستوائية ،
وهو خشب صلد ، يمتاز الصقل ، يستعمل في صناعة الأثاث الفاخرة ،
وبعض التماثيل العالية الثمن ، وأصابع البيانو .

— ماذا دهالك يا (فارس) ؟ .. أنيت أن (فهد) أبكم
أصم ، لا يمكنه أن يسمعك أو يحدثك ؟
تطلع (فارس) إلى وجه (فهد) الجاغد طويلاً ، قبل أن
يفهم :

— حقاً ؟

جذب الشيخ (فهد) إلى خيمته ، وهو يقول في صرامة :
— ذغك من هذا يا (فارس) ، وعُد إلى مبارزتك مع
(مهاب) .

رائبهما (فارس) وهما يدلان إلى خيمة الشيخ ، في حين
هتف به (مهاب) :

— هل تسحب ؟

التفت إليه قائلاً في حزم :

— مطلقاً .

وعاد سيفهما يتقارعان ، إلا أن (فارس) بدا شديد
الشروع هذه المرة ، حتى أن (مهاب) سأله :

— ماذا أصابك ؟ .. ضرباتك تفتقر إلى القوة هذه المرة .

جمع (فارس) كل قوته وضيقة في ضربة قوية ، هوى بها
سيفه على سيف (مهاب) ، وهو يقول في جدّة :

— هل تظن هذا ؟

انزعجت الضربة سيف (مهاب) من قبضته ، وأطارته إلى
خيمة الشيخ ، حيث استقر أمامها ، فأطلق (مهاب) ضحكة
خافتة ، وقال في عجب :
— لم أقصد هذا تمامًا .

ابتسم (فارس) ابتسامة باهتة ، وهو يتجه إلى حيث سقط
سيف (مهاب) ، مدغمًا :
— لم أكن أقصد انتزاع سيفك .. سأحضره لك بنفسى .
بلغ موضع السيف ، والحنى ليلقطه ، ولكنه تجمد في
موضعه ، عندما تنافى إلى مسامعه حديث خافت ، يحمل صوتي
وجلين ..

صوت الشيخ وصوت ذلك الأبهكم ..
(فهد) ..

اعتدل (فارس) على نحو حاد ، وراودته فكرة أن يقتحم
خيمة الشيخ ، ويفاجئ (فهد) وهو يتحدث ، وتساءل في
غضب عن سر كل هذا الغموض المحيط به ، منذ نشأته
الأولى ..

منذ عكف الشيخ على تربيته وتدريبه على كل وسائل
القتال ، وهو يجهل كل شيء عن نفسه ، إلا ما يظن به الشيخ ،
وما يفلت به لسان (مهاب) ، مدرّبه وصديقه الوحيد ..
لماذا يتم إعداداه على هذا النحو القاتل ؟ ..
آلة مهمة سامية تنظره ؟ ..
هل أى قدر ؟ ..

قطع صوت (مهاب) أفكاره ، وهو يتف ضاحكًا :
— هل السيف ثقيل إلى هذا الحد ؟
برز الشيخ من خيمته في هذه اللحظة ، وبدت عيائه
مألقين ، وهو يقول :

— كفى يا (مهاب) .. انتهى وقت اللعب .
تابع (فارس) ببصره (فهد) ، الذى تسأل من خلف
ظهر الشيخ إلى جواده الأسود ، وقفز على ظهره ، وانطلق به
مبتعدًا ، في حين أدار الشيخ عينيه إلى (فارس) ، وقال :
— اقرب يا ولدى .

اقرب منه (فارس) ، وعشرات التساؤلات تملأ عقله
ونفسه ، فأمسك الشيخ كفه ، وأجلسه أمامه ، وهو يجلس
بذوره على الصخرة المصقولة ، ثم وضع يده على كتفه ، وقال :

— اسمعني جيذا يا (فارس) .. منذ ما يقرب من ثمانية قرون ، وبالتحديد في الخامس من رجب ، عام (٩٢ هـ) ، الموافق شهر أبريل من عام (٧١١ م) ، وقف الفارس العربي (طارق بن زياد) ، على شاطئ (الأندلس) ، يهتف يهتف بعبده : ه البحر من ورالكُم ، والعدو من أمامكُم ، فأبىن المضر ١٢ .. وكانت صيحته هذه هي شرارة فتح (الأندلس) ، التي شهدت في ثمانية قرون عربية نهضة رائعة . ثقافية ، وفنية ، وأدبية ، وحضارية ، كما شهدت المحاولات المستميتة من ملوك وأمراء وسلاطين (أوروبا) ، لاستعادة شبه الجزيرة الأيبيرية ، التي حملت من قبل اسم قبائل (الفندال (Vandals) ، أو (الأندلس) ، الذي تحمله الآن .. ومنذ عهد الملك (لذريق) (*) حمل العرب لواء (الأندلس) ، إلى أن نشبت بينهم الصراعات والحلقات الداخلية ، وهنا التقصّر عليهم ملوك (أوروبا) ، وعلى رأسهم (فرنادو الثالث) ، ملك (قشتالة) ، ونجحوا في استعادة معظم (الأندلس) ، بما في

(*) (لذريق) أو (ردرىق) : آخر ملوك القوط الغربيين في (إسبانيا) ، هزمه (طارق بن زياد) عام ٧١١ م ، قرب مدينة (صيدونيا) . في أوائل الفتح الأندلسي .

ذلك عاصمتها (قرطبة) ، ولم تبقى لنا سوى مملكة (غرناطة) ، التي نطلق عليها اسم (الأندلس الصغرى) ، والتي يسمى (فرنادو الخامس) ملك (أرجون) ، و (إيزابيلا) ملكة (قشتالة) و (ليون) لتعطيها وهزيمتها ، وطرد العرب منها (*) .

نقد صبر (فارس) في سرعة ، فقال : — لقد ألفت هذا على مسامعي عشرات المرات يا عمّاه ، فما الجديد هذه المرة ؟

تهكّ الشيخ في عمق ، وضغط كفف (فارس) في رفق ، وهم يقول :

— (فرنادو) و (إيزابيلا) يخططان لتعظيم البقية الباقية من (الأندلس) يا ولدي ، ولقد أرسلنا إلى (غرناطة) أقوى جواسيسهم في (قرطبة) ، ويدعى (رودريك) ، وهو فارس قوى صلب ، تفتصر مهمته على لقاء تاجر خالكن في (غرناطة) ، والحصول منه على خريطة تبين نقاط ضعف الحراسة حول المملكة ، ليسهل اقتحامها .

عقد (فارس) حاجبيه ، وقال في قلق :

(*) حقائق تاريخية ..

— ولكن هذا قد يقضى نهاية الحكم العربى فى (الأندلس)
يا عمّاه ، ومن الضرورى أن يبذل قصارى جهدنا لمنع جاسوس
(قرطبة) هذا ، من العودة إلى أسياده بحريطة دفاعاتنا .

ابسم الشيخ ، وهو ينهض ، قائلاً :

— تعال يا ولدى .

قاده إلى خيمته ، و (مهاب) يتابعهما فى صمت ، وقد
سرت فى جسده رعدة هيبية وتركب ، فى حين الحنى الشيخ بفتح
صندوقاً مختماً ، والتقط من داخله حُلّة فارس بيضاء ،
وخوذة من الفضة ، وسيفاً له مقبض ، ونطاقاً وجراثبا من
اللون الأخضر ، وناول كل هذا (فارس) ، وهو يقول
فى حزم :

— لقد حانت اللحظة يا ولدى .. اللحظة التى أنتظرها منذ
عشرين عاماً .. هذه مقتنيات والدك ، وهانذا أسلمها إليك ،
لتتم مهمته ، ولتبدأ مهمتك السامية ، لإنقاذ راية
(الأندلس) .

التقط (فارس) الحُلّة والسيف والخوذة ، وهو يسأله فى

شغف :

— ولكن من هو والدى يا عمّاه ؟ .. ما اسمه ؟ .. من
كان ؟ .. وأى لقب أحمله أنا بعد اسم (فارس) ؟ ..

ابسم الشيخ ابتسامة خافتة ، وقال :

— يكفيك أنك (فارس) يا ولدى .

ثم وضع يده على كتفه ، مستطرذاً فى زهو وحماس :

— فارس (الأندلس) ..

وكانت هذه لحظة الميلاد ..



٢ - الجاسوس ..

أشرقت الشمس في مشهد بديع ، وألقت أشعتها الخالقة الدافئة ، من خلف جبال (سيرايقادا) ، كخيوط من ذهب ، انهمرت على مدينة (غرناطة) ، عاصمة (الأندلس الصغرى) ، وتألقت على قصر الحمراء ، الحصن العرقي الشامخ ، وانعكست على وجه فارس متين البنيان ، واضح القوة ، برندی حلة مزركشة ، مزدانة بخيوط من الذهب والفضة ، التمت تحت ضوء الشمس ، وأبرزت شعره الأسود اللامع ، ولحيته القصيرة ، وشاربه الفاحم ، الذي يتناقض كثيراً مع عييه الزرقاوين ، وإن اتفقت ألوانه مع لون جواده الأسود ، ذي البقع البيضاء ، التي تحير الناظر والباحث عن أصل الجواد ، الذي انسدل على ظهره سرج ثمين ، وامتد من فكّيه عنان موشى بخيوط القصب ، ليستقر في قبضة راحيه ، ويتأرجح مع حركته الهادئة المدروسة ، وعينا الفارس الزرقاوان تدرسان المكان في حكمة واهتمام ، حتى وقع بصره على باب من خشب الصندل ، تشق نقوشه البارزة عن ثراء

صاحبه ، ورفيع منزلته ، فأوقف الفارس جواده ، وهبط عنه ، ودق الباب في حزم ، وانتظر لحظات ، حتى برز أمامه رجل قصير ، سأله في اهتمام :

— ماذا ينشد السيد ؟

أجابه الفارس :

— أتيت من خلف الجبال ، لأقابل سلطان (غرناطة) المرتقب .

ارتسمت ابتسامة خيثة على شفاه القصير ، وانحنى على نحو واضح النفاق ، وهو يلوح بكفه ، قائلاً :

— مرحباً بك في البلاط المزقت للسلطان المرتقب أيها الفارس .. تفضل ، على الرُحْب والسُّعة .

غبر الفارس الباب في لحيلة ، وتناول درعه للقصير ، الذي احتقن وجهه في شدة ، وهو يذل أقصى جهده ، لحمل الدرع الثقيل ، في حين احتفظ الفارس بسيفه ونطاقه ، وهو يدير عينيه في القاعة ، قائلاً :

— أين السلطان ؟

وضع القصير الدرع جانباً ، وأشار إلى قاعة أخرى ، قائلاً :

— هنا أيها الفارس .. تقدّم .

دلف الفارس إلى القاعة الثانية ، ولم يستطع مع شفّته من الانقلاب امتصاصاً ، عندما وقع بصره على رجل بالغ البداية ، ترك جسده الصمغ يسترخى ، فوق أريكة هائلة ، وهو يلتهم قطع اللحم في شراهة ، وحوله عدد من جواربه ، يقذفون له الشراب والطعام ، ولم يكد البدين يرى الفارس ، حتى امتلأ وجهه المكسّط بالبنسامة واسعة ، وهو يهتف

— واعبري (رودريك) إني أنتظر منذ يومين .

مرحباً بك ..

انجه إليه (رودريك) ، جاسوس (قرطبة) ، وحلّس على أريكة مجاورة ، وهو يقول في استعلاء

— أين الخريطة ؟

ابتسم البدين في الخبث ، ولوّح بأصابعه ، قائلاً

— ليس هكذا يا عريبي (رودريك) فلنتناول شيئاً من

الشراب أولاً .

عقد (رودريك) حاحيه ، وقال في صرامة .

— الخريطة أولاً .

أطلق البدين ضحكة قصيرة ، وقال :

— حسناً يا عزيزي (رودريك) .. حسناً .. لا داعي للعصب .

ثم مال نحوه ، مستطرداً في الخبث :

— ولكي أحب استرجاع بنود اتفاقنا في البداية .

رمقه (رودريك) بظرة احتقار ، وهو يقول :

— لا تقلق يا رجل . لقد وعدك السادة بأن ينصبوك

سلطاناً على (غرناطة) ، عندما يتم لهم احتلالها ، والملك لا ينفون بوعودهم قط .

ابتسم البدين في دهاء ، وقال :

— ربما ، ولكي — كما تعلم — تاجر قديم ، وليس من

السهل على تاجر مثل ، أن يركن إلى الوعود الشفوية .

قال (رودريك) في جدّة :

— حسناً .. ماذا تطلب في انحصار ؟

تألّفت عينا البدين في شراهة ، وهو يقول .

— عقداً مكتوباً .

ابتسم (رودريك) في سُخرية ، وقال .

— أهذا ما يرضيك حقاً ؟

هتف البدين في هفة :

— بالتاكيد .

صمت (رودريك) لحظات ، ثم أشار إلى الجوارى ، قائلاً :

— أتعجب أن يتم هذا على الملأ ؟

ابتسم البدين وقال :

— كلاً بالتاكيد .

وبإشارة من يده نهضت جواريه ، وغادرن القاعة في سرعة ، وبقي هو مع (رودريك) والقصير ، وأشار (رودريك) إلى القصير ، وهو يقول في استهتار .

— وهل سيقى هذا ؟

أوماً البدين برأسه إيجاباً ، وقال .

— نعم (سنوت) هو ذراعى اليمى ، وكاتم أسرارى

ابتسم (رودريك) في سخرية ، وقال :

— فليكن إلى برقى وقلم ، وسأمنحك الصمهد

المكتوب ، الذى تشده .

ول أعصق أعماقه ، ودون أدنى صوت ، أضاف

(رودريك) :

— أيها الفتى الأحمق ..

ترحل (فهد) الرنحى عن جواده الأسود ، على بعد أمتار من دار البدين ، وأدار عييه ووجهه الجامد لهما حوله ، ثم اتجه في هدوء إلى حيث يقف جواد (رودريك) ورثت على عرق الجواد في رفق ، وداعب معرفته في حنان ، دفع الجواد إلى أن يسمح عقه بصدر (فهد) القوى ، الذى يفل راحته من عرق الجواد إلى صدره القوى ، وبطنه ، وعجزه ، ثم تحسّس قائمته الخلفية اليسرى ، ورففها في رفق ، دون أن يعترس الجواد ، وبخفة وسرعة ، التقط من حزامه شريطة معدنية صغيرة ، لثبها أسفل حافر الجواد بقبضته ، ثم ترك الجواد يخلص قائمته ، ورثت على بطنه وعقه مرة أخرى ، ثم تركه واتجه إلى حيث يقف جواده ، وقفز يحتل صهوته ، وأمال عنانه ، وانطلق به مبعثدا ..

دُهل (رودريك) العقد بتوقيعه ، وناولته إلى البدين ، وهو يقول في لهجة ، لم يحاول إخماء الثيرة الساخرة فيها .

— ها هو ذا العقد المكتوب .

احطف البدين العقد في لهجة ، وطالعه في شبق ، ثم طواه في

أعمال ، وهو يملأ وجهه بانتسامة صحيحة ، هاتفاً .

— ستناول الشراب ، احتمالاً بتوقيع هذا الـ ...

قاطعه (رودريك) في صرامة :

— الخريطة

لوح البدين بكفيه ، هاتفاً :

— الخريطة موجودة ، ولن نذهب بعيداً ، فقط سنحتفل ،

و ...

قاطعه في حزمه

— الخريطة أولاً .

بدا الحرف لحطة في عيسى البدين ، إلا أنه لم يلبث أن اردرد

لعابه ، وقال :

— حسناً يا عزيزي (رودريك) حسناً .. سنحصل

عليها على الفور .

ثم قرّع إصبعه ، وهو يستطرد في تولّد

(سينوت) .

ابتسم القصر ابتسامة مُفعمة بالبحث والغموض ، والحنى

أمام مولاه ، ثم اتجه نحو جزء من الحائط ، يستحيل تفرقه عن

بالأجرء الحائط ، وضغط نقوشه في خفة ، فانزاح حائلاً ،

كاشفاً فجوة صغيرة ، التفت القصر من داخلها الخريطة ،

ودار على عقبيه في حركة مسرحية ، ياولها لـ (رودريك) ،

الذي التفتها في اهتمام واضح ، وفرد لها أمام عينيه ، وبدأ شديد

الاهتمام ، وهو يطالعها ، في حين راح البدين يقول في زهو :

— إنها أدق خريطة موجودة للمواقع الدفاعية العربية ،

وبواسطتها يمكنكم التسلل بجيوشكم إلى قلب (غرناطة) ،

واحتلالها ، قبل أن يفتح العرب أعينهم في الصباح

طوى (رودريك) الخريطة ، وهو يقول في صرامة :

— أعلم هذا .

ابتسم البدين وقال :

— رائع .. والآن سنحتفل به

بعض (رودريك) ، قائلاً في حزم :

— لا وقت يا رجل .

هتف البدين :

— إلى أين ؟ إننا لم نتناول الشراب بعد ، ولم ...

قاطعه في حزم صارم :

— فيما بعد سنحتفل قريباً بسقوط (غرناطة)

والنقط درعه ، وهو يستطرد في تحفوت وسحرية :

— وسقوط رأسك أيها النبي .
وفي أعماقه انطلقت صيحة ساحرة

وها هو ذا .. .

ينطق (مهاب) بالكلمة ، وهو يشير إلى دار البدين ،
فعلقت عينا (فارس) بالباب المرحرف ، وغمغم
— المهتم أن يكون قد وصلنا في الوقت المناسب
جذب معرفة حواده الأبيض العربي الأصيل ، وهو
يستطرد :

— هنا يا (رفيق) .

أطاعه الخواد في مرونة ، ودفع قوائمه نحو دار البدين ،
حيث توقف شاخ الرأس ، ممرود الصدر ، وقصر (فارس)
عن ظهره ، وهو يقول لـ (مهاب) :
— انظر هنا ، وسأعلم أنا ما إذا كنا قد وصلنا في الوقت
المناسب أم لا .

ودق باب البدين في حزم ..

كان (فارس) محط الأنظار ، منذ بلغ (غرناطة) مع
(مهاب) ، فقد بدا شديد الوسامة والقوة والثقة ، ولفت

خلته اليهواء ونحودته الفضة انبهاء الجميع ، وهذا لطافه
وحراب مبعده الأحصران أشبه برمز للأمل في القلوب ، خاصة
مع ذلك الجواد الأبيض الشاهق ، الذي يهز طرقات العاصمة
في ضربات قوية والفة ..

وأكثر ما جذب الأنظار إلى (فارس) هو أنه يعتلي حواده
دون مرج أو لجام ..
ولقد ذكرهم هذا بأحد أمراء (قرطبة)
بل بأعظم أمرائها ..

هذا هو نفس الانطباع ، الذي تفجّر في رأس (سيوت)
القصور ، عندما وقع بصره على (فارس) برؤيه الأبيض ونحودته
الفضية ، ولطافه الأخضر ..
لقد تذكر فارسًا قديمًا ، وأميرًا صديداً ، كان يرتدى
الزّي نفسه لهما معنى ..

وكان يشبه (فارس) كثيرًا ..
كثيرًا جدًا ..

وعلى الرغم منه ، ارتجف (سيوت) وصوته ، وهو
يقول :

— ماذا تريد أيها الفارس ؟

قال (فارس) في حزم :

— أريد مقابلة سيّدك .

سأله (سيّوت) في قلق :

— في أي شأن ؟

أجابه على نحو مباشر صريح :

— بشأن حاسوب من (قرطبة) يُدعى

(دودريك) .

اشتمس جسد (سيّوت) ، وحذق لحظة في وجهه

(فارس) ، ثم ابتسم ابتسامة غامضة ، وهو يمسح في الطريق ،

قائلاً :

— تفعل على الرّحب والسّعة .

دلف (فارس) إلى الداخل ، في حين بقي (مهاب) أمام

الباب ، ولم يكذ (سيّوت) يخلق الباب خلف (فارس) ،

حتى تحسّس (مهاب) سيفه ، وغمغم في قلق

— فليكن لا بدّ له من أن يحوّص التحريّة وحده هكذا

أشار الوزير ..

ثم تنهّد في عمق ، وجلس ينتظر ..

أمّا (فارس) ، فقد قاده (سيّوت) إلى القاعة الخارجية ،

والمنحنى أمامه في تمّلق ، قائلاً :



وعلى الرّغم من . ارتفع سيّوت ، وصوته . وهو يقول

— ماذا تريد أيّها الفارس ؟ ..

— فليتنظرنى سيدي الفارس لحظة .

ثم أسرع إلى القاعة الأخرى ، حيث يجلس البدين ، ومال
على أذنه ، هامساً في الانفعال :

— هاك فارس آخر يطلب مقابلتك يا مولاي

أشار البدين إلى حواربه بسالانصراف ، ثم سأل

(سينوت) في قلق :

— أي فارس هذا ؟

أجابه (سينوت) بنفس الانفعال :

— إنه فارس أبيض يا مولاي ، يرتدى نفس رتي ذلك

الأمير في (قرطبة) .

ارتجف البدين في قوة ، وحذق في وجه (سينوت) في

زُعب ، وهتف في لفوفات :

— هل .. هل بُعث حياً ؟

هو (سينوت) رأسه نفياً ، وقال :

— لا يا مولاي الأرجح أن هذا ابنه ، الذي احتسى

رضيقاً ، مع الوزير ، و.....

فاطحه البدين في تولر :

— وماذا تفعل به ؟

أجابه في لمث وذهاء :

— دعنا نسمع له عقابلك أولاً يا مولاي

هتف البدين :

— ثم ماذا ؟

ابتسم (سينوت) ابتسامة مأكرة ، وقال .

— ثم ينهي رجائنا الأمر يا مولاي .

حذق البدين في وجهه لحظة ، ثم ابتسم قائلاً

— فليكن .. ذنبة يدخل .

لم تنصرو لخطات حتى دلف (فارس) إلى المحبرة ، شامخ

الرأس ، محذول القوام ، ولم يملك البدين إلا أن يرتجف ، وهو

يسأله :

— ما الذي تشده أيتها الفارس ؟

وصح (فارس) يده على صدره ، وقال في حرم

— اسمي (فارس) ، وأما هالتحديرك من التورط في حياة

مفرعة ، لا تليق بعربي ، فلقد بنهي أنك تنظر حاسوساً من

(قرطبة) ، وأنتك تنوي مسحه خريطة للدفاعات العربية

انتفض البدين في قوة ، وجري الرعب في عروقه مجرى

الدم ، وحذق في وجه (فارس) في دُخول ، فقد كان لأسلوب

(فارس) المباشر المفاجئ أثره الصيف في تحطيم مقاومة البدين

ومعوياته ، حتى أنه راح يترجح في شدة ، وهو يقول في
النيار :

— كيف ؟ .. كيف علمت كل هذا ؟ .. من أنت ؟
تجاهل (فارس) هذه الأسئلة ، وهو يقول في حرم :
— أخبرني أولاً . أوصل الجاسوس القرطبي ، ومنحته
أنت الخريطة ، أم أنه لم يصل بعد ؟
تردد البدين لخطات ، ثم قال ، وهو يختلس النظر إلى
(مهنوت) ، في القاعة الأخرى :
— هذا يعرف على

بتر عبارته عند هذا الحد ، فسأله (فارس) في صرامة .
— على ماذا ؟

ابتسم البدين فحاة في أرياح ، وهو يقول :
— على هؤلاء .

وفي نفس اللحظة ، التحم القاعة تحمة من المرمسان
الأشداء ، واستل كل منهم سيفه ، في صليل قوي رثان ، امتزج
بصوت البدين ، وهو يشير إلى (فارس) ، ويهتف في حدة
— اقتلوه ..
وكانت المواجهة ..

٣ — القتال ..

شعر (مهاب) بقلق حصى ، وهو يجلس على صهوة
جواده ، في انتظار عودة (فارس) ، وراح يرفرف نوكر ، وهو
يقول لنفسه :

— ثرى ماداً سيعمل المعنى ، في أول مواجعة حقيقية له ؟
صحيح أنه قد بلغ شاكاً كبيراً ، في اللعب بالسيف ، وإطلاق
الشاب ، إلا أن كل هذا لم يتحط بعد مرحلة التدريب ،
ولا أحد يعلم ما يمكن أن يفعله في مواجعة حقيقية ، و
بتر عبارته بعة ، عندما وقع بصره على أثر صغير لحواجر
حواد ، أمام باب الدار ، وقد بدا أثر لشريحة معدنية صغيرة ،
في الخافر الخلفى الأيسر ، تشبه فهذا يوم بالانفصاح ، مما دفع
(مهاب) إلى أن يقصر من فوق حواده ، ويسعى فاصحاً
الأثر ، قبل أن يفهم في انفعال :
— ما من شك في هذا لقد وصح (فهد) هذه العلامة ،
ليرشدنا إلى جواد الجاسوس .

تابع بصره الأثر ، الذى يمتد بعيدا ، ثم اعتدل قائلا فى حرم :

— وهذا يقضى أن حاسوس (قرطبة) قد حصل على مبتغاه ، ورحل .

ارنظم فى اعتداله صدر رحل قوى ، فالتفت إليه معممنا .

— معذرة يا رجل . لم أقصد أن

ولكن الرجل أطلق صرخة رهبة ، واستل مع رميل له سيفيهما ، قبل أن يدرك (مهاب) ما يقبه هذا ، و هوى عليه نصلا السيفين ..

عقد (فارس) حاحيه فى عصب ، وهو يلتفت إلى البدن ، ويقول :

— لقد أيلك فسالنا ، على الرغم من حياتك لو طلك يا رجل ، فكيف تأمر وحالك بقتل فى غفر دراك^{١٧}

اتسم البدن فى شحيرة وشمانة ، وقال

— فلتقل إنى خائن بطشى .

تفاخر العصب من وحه (فارس) ، وهو يستل سيفه . صائحا :

— صدقت .

تراجع البدن ، وهو يصرخ برحاله مرة أخرى — القتلوه .. القتلوه .

وفى هذه المرة ، انقض الرجال الخمسة على (فارس) ، الذى أطلق فى حوهمهم صيحة رهبة ، ثم رفع سيفه ، وانقض ..

لم يكن يحمل محمًا ، يتلقى عليه ضربات سيوفهم ، ولكن هذا لم ينفقه كثيرا ، فمض حداثة ، لم يحمل أبدا محمًا . هكذا علمه الشيخ .. وهكذا فزبه (مهاب) ..

وبالسبة إليه ، كان الرجال الخمسة أشبه بملوع الأشجار ، التى طالما دفعها (مهاب) نحو ، على نحو عشوائى ، وهى مربوطة بحبال من أعلى ، وتبرز منها النصال الحادة ..

وبفس لفة وحاس التدريبات ، انحنى (فارس) بتفادى نصل سيف ، ثم اعتدل يصرب سيفا ثانيا بسيفه ، ويطيح به بعيدا ، ثم مال حائبا ، متعاديا نصلا لثا ، وهوى بسيفه على السيف الرابع ، ثم دار على عنفيه يطيح بالسيف الخامس فى صربة سيف قوية عيمة ، وبعدها فصر سيفه بمة وهزفة .

وأطاح بالسيفين الباقيين ، وأطلق صيحة أخرى ، ثم لَوَّح بسيفه
في الهواء ، في مهارة عجيبة ، قبل أن يعمده إلى عِمْدِهِ في قوة ،
ويقول في صرامة :

— لَسْم أَهْلًا لِنَزَالِي .

شُجِيت وحوه المرسان الخمسة ، الذين فقدوا سيوفهم في
الخطات ، والنصق (سيوت) بالحائط ، وقد لحِئِل إليه أن أمير
(قرطبة) الراحل قد بُعث حيا ، وراح يقاتل حصونه في هذا
الحمل ، كما كان يقاتلهم قديما ، قيل سقوط (قرطبة)

أما البدين ، فقد التفت عيائه في رُعب ، وانطلقت سخته
في فرع ، وهو يلَوِّح بكفيه ، قائلا

— لا .. لا تقرب مني .. لا .

التفت (فارس) إلى الرجال الخمسة ، الذين تجمّدت
الدماء في عروقهم ، وهم يتطلّعون إلى ملامحه الصارمة ،
ويستمعون إلى صوته الحارم ، وهو يقول :

— انصرفوا .

أسرعوا يهادررون القاعة ، كأنما أصحاب الدنيا كلها
نظاردهم ، وهم يتكثرون في أقدام بعضهم البعض ، في حين عاد
(فارس) يواحه البدين ، وهو يقول في نفس لهجته الصارمة
الهيبة :

— هل أعطيت الخريطة للجاسوس ؟

لَوَّح البدين بكفيه ، وهو يهتف في رُعب

— الرُّحمة ! لقد أحررتني لم أستطع مقاومتها لم
تقدّم (فارس) نحوه في حركة حاذقة ، وأمسك متلابه ،
وحذق في عيبيه مباشرة ، وهو يسأله

— متى رحل أيها الخائن القذر ؟

صاح البدين في ارتياح :

— مد قبيل ، عندما كانت الشمس في أعلى جبال
(صيراليفادا) تماما .

دفعه (فارس) في الزدراء ، وهو يقول :

— أيها الخفير .

سقط البدين أرضا ، وسقطت منه الرُّفعة ، التي تحوى
عقده المكروب مع (رودريك) ، فعقد (فارس) حاحيه ،
وهو يلتقطها ، قائلا :

— ما هذا ؟

ارتجف البدين في رُعب هائل ، وحاول احتطاف الرُّفعة من
يد (فارس) وهو يصرخ ملتاغما :

— لا .. لا .. اتركها لي .

دفعه (فارس) جانباً في احقار ، وهوى الرُّقعة ، وقرأ
محتوياتها في سرعة ، ثم هتف في غضب .

— سلطنة (غرباطة) ؟!.. أهت وطك من أجل هدف
تافه بعيد المال كهذا ؟. أتصور أنهم يحاربون ما يقاتلون
لالتزاعه متاً ؟

ثم القى الرُّقعة عالياً ، واستل سيفه بحركة سريعة ، وهوى به
على الرُّقعة مرتين ، فقسمها إلى أربعة أجزاء ، وتركها تسقط
أرضاً ، وهو يهيد سيفه إلى غمده ، مستطرذا .
— حفر .

ثم دار على عقبيه ، وغادر القاعة في شموخ ، وقد سخل فيها
أول التصاراته العملية ..
ودون أن يربط فطرة واحدة من الدماء
أو من الكرامة ..

فوجئ (مهاب) غامفاً محوم الرحلين ، وسيمهما
مشهورين في وجهه ، إلا أن فارساً قدبهما مثله ، لم يكن ليهتر
أوبهار ، أمام محوم رحلين ، حتى ولو كان عاصفاً مباغياً



سقط البدين أرضاً ، وسقطت منه الرُّقعة ، التي
تخوى غمده المكتوب مع (روهريك) ..

لقد استل سيفه في سرعة مذهشة ، واستقبل على نصله نصل
سيف أحد المهاجمين ، وهو يضرب صدر المهاجم الآخر
بقدمه ، ثم طوح سيفه لطيح بسيف المقاتل الأول ، وأدار نصله
في سرعة ومهارة ، ليهوى به على سيف الثاني ، إلا أن المقاتل
الثاني تراجع في حمة الشباب ، وهو يقول في شجربة :

— أخطأت أيها الكهل .

ورفع سيفه عاليا ، وهو يسترد في قوة :

— وهذا هو عطفوك الأخير .

وفجأة ، وقبل أن يهوى سيفه على رأس (مهاب) ،

أمسكت يده بقوة معصمه من الخلف ، وسمع الرجل صوتا

صارما يقول :

— حقا ؟!

وبقوة لم يمهدها الرجل من قبل ، اتزع منه (فارس)

سيفه ، وألقاه بعيدا ، ثم دفع الرجل ، قائلا في حزم :

— هيا .. اذهب .

بهز الرجلان ، وأسرعوا يتعدان في خوف ، في حين هتف

(مهاب) :

— يا إلهي ! لقد وصلت في الوقت المناسب

قال (فارس) في ضيق :

— ربما ينطبق هذا عليك يا صديقي ، أما بالنسبة لجاموس

(قرطبة) ، فقد وصلنا متأخرين .. لقد حصل على الخريطة

والصرف .

ابتسم (مهاب) ، وقال وهو يميل سيفه إلى خمده :

— اطمئن .. إنه لم يذهب بعيدا .

سأله (فارس) في دهشة :

— كيف عرفت هذا ؟

أشار (مهاب) إلى آثار حوافر جواد (رودريك) ، وهو

يقول :

— لقد ترك لنا (فهد) أثرا تتبعه ، في حوافر جواد

الجاموس ، والأثر أمام الباب يشير إلى أن (رودريك) قد

انصرف منذ دقائق قليلة .

عقد (فارس) حاحيه ، وهو يتطلع إلى الأثر الواضح ، ثم

رفع عينيه إلى (مهاب) ، وقال في ضيق :

— وكيف بلغ (فهد) هذا المكان قبلنا ؟ وما الذي يفعله

الآن ؟

ابتسم (مهاب) ابتسامة غامضة ، وقال

— لا تفلق نفسك بشأن (فهد) إنك ستجده دائماً أيها
وحيثما يسبق لك أن تجده ، وكلما احتجت إلى وجوده .

هتف في جثة :

— ولكن من هو بالضبط ؟

فمر (مهاب) على صهوة حواده ، وهو يقول .

— لا تحاول التفكير في هذا هيا بنا

ولب (فارس) على صهوة حواده بدؤره ، وحدث معرفته
البصاء العامة ، و (مهاب) يسأله

— هل أحرك الناحر بما تريد ، دون مقاومة ؟

أجاب (فارس) ، وهو يراقب آثار حوافر حواد
(روبريك) في اهتمام :

— لا لقد أمر خمسة من رجاله بفعل

سأله (مهاب) في دهشة :

— وماذا فعلت ؟

هر (فارس) كتبه في لامبالاة ، وأجاب

— لقد حردتهم من سيوفهم ، وأمرتهم بالرحيل

السمت عينا (مهاب) ، وهتف :

— أمرتهم بالرحيل " أتفى أنك قد هزمت خمسة من
الفرسان ، دون أن تقتل أحدهم ؟!

هر (فارس) كتبه مرة أخرى ، وقال

— وماذا في ذلك ؟ أنت تعلم أني أكره إراقة الدماء

أطلق (مهاب) ضحكة عالية ، ورئت على كصف

(فارس) ، وهو يهتف في حرارة وهاس :

— هكذا " بكل البساطة " ما أروعك يا (فارس)!

رحم الله والدك .

الفت إليه (فارس) في حركة حادة ، وهو يقول في لهفة

— والدي " أخرى يا (مهاب) ما الذي تعلمه عن

والدي ؟

أثارت انتسامة (مهاب) الحربة خبره ، وهذا الأخير

يقول في تحفوت :

— لا تلتق هذا السؤال مرة أخرى يا (فارس) لم يحسن

وقت المعرفة بعد .

ثم رئت على كتفه مرة أخرى ، مسطرذا

— والآن هيا ملحق بالخاموس ، قل أن يحرق الأعداء

درع (الأندلس) .

اعتدل (فارس) على صهوة حواده ، وحدث معرفته ،

قائلاً في حزم :

— نعم .. هيا بنا ..

وانطلق الاثنان خلف الجاسوس ..

هرع (سينوت) إلى سيده البدن ، وهتف به في ضلع :

— مولاي .. لقد انطلق الفارس الأبيض مع رفيقه ، خلف

(رودريك) ، فلقد أصاب رفيقهم — حسبما سمعت — إشارة

خاصة إلى حوالم جواد القرطبي .

هتف البدن في جزع :

— ماذا ؟ لو أنهم لحقوا — (رودريك) ، واستعادوا

من الخريطة ، فسكنون في هذا نهاية أحلامى ، ونخطط

مستقبل .

ثم أمسك كنف (سينوت) في قوة ، مستطردا في الفعل :

— اسمع يا (سينوت) لا بد من التخلص من الفارس

الأبيض ورميله ، وإنقاذ (رودريك) ، وصمان وصول

الخريطة إلى (قشالة) في الوقت ذاته

مال (سينوت) نحوه ، وسأله في اهتمام :

— وبم يأمر سيدي ومولاي ؟

مال البدن نحوه بدوره ، وقال في توثر مأل

— اسمعني جيذا يا (سينوت) . لحذا أقوى جواد لديها ،

وانطلق إلى حان (الوادي الكبير) ، حيث سيقتضى

(رودريك) ليلته ، وأبلغه بما حدث ، واطلب منه أن يتخذ

الحذر ، وأن يفعل ما يوسع له للقضاء على خصمه

ابتسم (سينوت) في دهاء ، وقال :

— كما تأمر يا سيدي .

وانطلق ؛ لتفيد الأمر ، حاملا معه كل بلعه وكراهيته ..

ويحجزا مسموما ..



٤ — المطاردة ..

ترخل (رودريك) عن حواده ، عند جان (السوادي الكبير) ، ورئت على علق الجواد ، وتحسن سرجه لحظة ، ثم التفت بحركة حاذة مباغتة إلى الطريق ، وامتلات معه بالحق ، عندما بدا له الطريق حاليًا ساكنًا ، وعمهم في منحنى :

— عجبنا !! أكاد أقسم بأنني قد نحت ربحيًا على حواد أسود ، يتبعني بعض الطريق !! إن وقع حوافر حواده لم يتلاش من أذني بعد !!

ألقى نظرة أخرى طويلة على الطريق الساكن ، ثم دفع بؤابة الحان ، وهتف في صرامة :

— من هنا ؟

بررت من باب حاسي عمود صنيعة ، ارتسمت على وجهها الفحيح ابتسامة مقبنة ، وهي تهرك كفيها ، قائلة — حادمتك (راشيل) يا سيد الفرسان لؤح بكفه ، وهو يقول في غطرسة .

— أرسل من يعنى بجوادي وبطعمه لئنها العجور ، وأعدى لي حجرة نظيفة ، وكثيرًا من الماء الساخن ، وزجاجين من أفضل أنواع الشراب البارد لديك — هذا لو أن لديكم هنا شرابًا جيدًا .

كان من الواضح ، من ربه العاقر ، وحواده المسرح في عناية ، أنه بالغ الثراء ، لذا فقد انحت العجور انحاءة كبيرة ، كادت تصرب رأسها بالأرض ، وهي تقول — سمعًا وطاعة يا سيد الفرسان .

ثم صربت حرمانًا نحاسيًا أمامها ، فظهر شاب مقبول العضلات ، له لحية كثة ، أشارت إليه العجور ، قائلة — تحد السيد إلى أفضل حمراتنا يا (ليفي) ، وأرسل (حزقيال) للعناية بجواده .

صعد (ليفي) بـ (رودريك) إلى حمرته ، التي بدت نظيفة ، على الرغم من نهالك أثنائها ، ورمى (ليفي) (رودريك) بطرفة حادة ، وهو يقول

— إنها ليست أفضل حمراتنا في الواقع ، إلا أن لها نافذة تطل على الطريق ، وتتيح مراقبته على نحو جيد ، وبانا حاسيًا ، يسمح بالفرار عند اللزوم .

تطلع إليه (رودريك) طويلاً ، ثم ابتسم قائلاً
— من الواضح أنك شاب ذكي . ولكن كيف أمكنك
تخمين هذا ؟

ابتسم (ليفي) ابتسامة باهتة ، وقال .
— إنه ليس تخميناً يا سيدي ، وإنما نوع من الاستبطاط
والفراسة ، فعمل الرغم من إحادتك للعربية ، إلا أن لكثك
الإسبانية واضحة .

قال (رودريك) ، وهو يتطلع إليه في شيء من الإعجاب
— ولكن الكثيرين هنا كذلك ، وخاصة بعد الاحتلال
والرواح بين العرب والأسبان ، طوال ثمانية قرون
هز (ليفي) رأسه نفياً ، وقال :

— هناك فارق صغير ، قد لا يلاحظه أغلب الأندلسيين .
إلا أنني أنتبه إليه دائماً .

قال (رودريك) في الحجاب :

— رالع .

ثم استطرد في حرم ، مواضعها (ليفي)
— اسمع أيها الشاب أنت من النوع الذي يروق لي ،
ويمكنك معي أن تربح الكثير ، لو وصفت نفسك لي خدمتي

٥٠

أحابه (ليفي) ، وعينه لبرقان جشعاً .
— أنا رهن إشارتك يا سيدي .

ابتسم (رودريك) في لفة ، وقال .
— عظيم أيها الشاب .. ابقى مستيقظاً إذن ، وأرهف سمعك
حيداً ، فقد أحتاج إليك ، قبل شروق الشمس .
كرّر (ليفي) في حواس :

— ستعدني رهن إشارتك يا سيدي .
لم يكذب جم عبارته ، حتى سمع دقات متوكرة على باب
الحجرة ، فاستل حنجره ، وتطلع إلى (رودريك) منتظراً
أوامره ، إلا أن (رودريك) أراحه جانباً في صرامة ، وهو
يقول :

— من بالباب ؟

أناه صوت مرتجف يقول :

— إنه أنا يا سيدي .. (سينوت) .

هتف (رودريك) في دهشة ، وهو يفتح الباب .
— ما الذي أتى بك يا (سينوت) ؟ وكيف بلغت هذا
المكان ؟

كان (سينوت) يلهث ، وقد شخبط وجهه من فرط
الإرهاق والتعب ، وهو يجيب بكلمات مرتجفة

— إننى أركض نحو ادى طيلة النهار يا سيدي ، ولم أتوقف لحظة واحدة ، والحواد يكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة ، من فرط التعب والإرهاق ، وكل هذا إلحاق بك ، قبل أن يلسعك الفارس الأبيض وزميله .

هتف (رودريك) في دهشة :

— الفارس الأبيض وزميله ؟! ماذا نفى يا رجل ؟

ألقى (سيوت) نظرة حذرة على (ليفى) ، فقال (رودريك) في عصبية :

— هات ما لديك .

راح (سيوت) يقص عليه القصة كلها ، حتى انتهى بها ، وأضاف :

— إنهم يتعمدون الأكر ، الذى تركه صاحبهم فى حوافر حوادك ، أما أنا فقد انطلقت إلى هنا مباشرة ، ولهذا سبقتهم ، ولا ريب أنهم سيصلون بعد قليل .

عقد (رودريك) صاحبه ، وراح يهتكر فى عمق وصمت ، فى حين سأله (سينوت) فى توتر :

— ماذا ستفعل يا سيدي ؟

صاح به (رودريك) فى صرامة :

— اصمت .

ثم اتجه نحو نافذة الخجرة ، وتطلع منها إلى الطريق ، الذى راحت ملامحه تتلاشى مع غروب الشمس ، وصمت لحظات طويلة ، ثم التفت إلى (ليفى) ، وقال فى حسم :

— اسمع أيها الشاب . أريد حواذا قوياً ، وعشرة رجال أشداء ، لا يتردد أصعقهم فى القتال برصيع وحيد ، لو مال ثمتنا جيداً لهذا .

أجابه (ليفى) فى حزم :

— السمع والطاعة يا سيدي .

ألقى إليه (رودريك) بضرة من العملات الذهبية ، وهو يقول فى حزم :

— هنا .. اذهب .. وأريد الجواد أولاً .

الحصى (ليفى) فى شدة ، وقد أعماه بريق الذهب تماماً ، وانطلق لتفيذ الأمر ، فى حين عاد (سينوت) يسأل (رودريك) فى خيرة :

— ماذا ستفعل يا سيدي ؟

ابتسم (رودريك) ابتسامة خبيثة ، وقال :

— ساعد لمارسك الأبيض ورفيقه حمل استقبال جيداً يا رجل ..

واتسعت اتسامته الماكرة ، وهو يصيف
— حملاً أخيراً ..

أشار (مهاب) إلى الخوادم الأسود ، دى البقع البيضاء ،
الدى يقف أمام حان النوادى الكبير ، وهو يقول لـ (فارس)
— يبدو أن هذا هو حواده ، فالأثر ينهى ها
اقرب الاثنان من الحان ، وترخلا عن حواديهما ، واقرب
(مهاب) من حواد (رودريث) ، ورفع قائمته الخلفية
اليسرى ، وأشار إلى تلك الشريحة المعدنية المثبة فى الحافر ،
والتي تشبه هذا يوم بالانفصاف ، وقال لـ ارياح
— إنه جواده بالفعل .

رفع (فارس) عينيه ، بدرس الحان فى هدوء ، ثم قال
— إذن لم يقضى ليلته ها .

ثم تقدم مع (مهاب) نحو الحان ، مستطرداً لـ حرم
— سيدم على هذا أشد الندم .

ودفع باب الحان ..

ولحظة ، شق سهم الهواء ، وانعرج فى كتف (مهاب) من
الخلف ، فأطلق هذا الأخير شهقة ألم ، وهف وهو ينشبت
بذراع (فارس) :



ولحظة ، شق سهم الهواء ، وانعرج فى كتف (مهاب) من الخلف

— إنه فتح .. احرمس ..

ولى نفس اللحظة انقضت عشرة رجال على (فارس) ، من كل جانب ، وهم يطلقون صرخات قتالية عنيفة ، احتللت بصحكة ساحرة ، من أعلى الحان ..
ضحكة شيطان ..

ما من شك لى أن مشأ (فارس) وتربيته لم يكونا لمعلمين أو عاذلين ، فلقد نشأ الفتى على يد شيخ حكيم ، وفارس من أشجع وأقوى فرسان عصره ، وتلقى تدريبات قتالية مكثفة ومدرسة ، طيلة عشرى عمأ كامنة .
وشاب شأ هكذا ، لا يهاب الخطر أو الموت أبدا ..

وعندما انقضت الرجال العشرة على (فارس) ، وهم يطلقون صرخاتهم المهيمة ، كانوا يتصورون أن صرخاتهم ، ومفاجأتهم مستعظمان مقاومة خصمهم ثأما ، خاصة عندما يقاتل وحده عشرة رجال ..
ولكن هبات ..

لقد قد (فارس) من صخر غير قابل للكسر .
من صخر (الأندلس) ..

ولقد جاوب (فارس) صرخات الرجال العشرة بصيحة هائلة ، تزلزلت لها قلوبهم ، وهو يستل سيفه ، وينفض بذوره عليهم كأسد قصور ، وتنبص صرخام .
ولى هذه المرة ، لم يحاول (فارس) المحافظة على الدماء .
بل أراق دماء الحونة بلا تردد ..

أراقها دفاغا عن حياته ..
وانطأما لصديقه ومدربه ..
وراح سيفه يصرب الصدور والأعناق بلا تردد أو رحمة .
وأصاب دهاة سيف ذراعه ، ومزقت ثبنا من خلفه البيضاء ، ولوثتها بعض دمه ..

وبعض (مهاب) يلتقط سيفه يسراه ، صائحا —
لن تهزم الحياة الشرف أبدا .
صرب أحد الرجال العشرة بسيفه ، وتلقى على نعله صربة سيف آخر ، وبذاله (فارس) كبطل أسطورى ، يحطم أعداءه ، وينهى على أعناقهم بسيفه ، ويطيح بنوفهم ودروعهم ..

ثم أصيب (مهاب) لى صدره ، وذراعه ، وفخذ ..
وسقط البطل على ركبته ، وسمع (فارس) بصيح به ، وهو يواصل قتاله :

— انهض يا صديقي . انهض لا تسقط أمام هؤلاء
الأوغاد .. مهما كان الثمن .

ولكن فجأة ، سقطت شبكة قوية فوق (فارس) ، وارتفع
من أعلى الحاد صوت (ليفي) ، وهو يتف
— لقد أوقعت به .. اقتصوه بسرعة

اندفع من تبقى من الرجال العشرة نحو (فارس) ، الذي
راح يقاوم الشبكة الثقيلة ل غف ، ويصرب ويدافع بسيفه ل
الوقت ذاته ..

ومن أعلى راح (ليفي) يصرخ :

— أوقفوه .. اجذبوا الشبكة .

يكالب أربعة منهم ، وجذبوا الشبكة من أسفل ل غف ،
فاحتل توارن (فارس) ، على الرغم منه ، وسقط على ظهره ، وفقر
فوقه رحلان ، حاولا شل حركته ، وهو يصرب بسيفه ، ويصرب .
ولكن الكثرة تطلب الشجاعة ولا شك

وكئل الرجال (فارس) ل إحكام ، وانتزع أحدهم سيفه ،
وبدل (مهاب) أقصى جهده ، ليص مداخلها عن تلميذه
وصديقه ، وهو يتف :

— أيها الأوغاد أين ذهب شرفكم ؟ أين الـ

هوت على رأسه صريرة قوية ، مع صوت غليظ يقول .

— اصمت يا رجل .. لقد انتهى أمركما .

كانت الصريرة قوية عيفة ، حتى أن (مهاب) قد سقط
وانكأ على وجهه أرضا ، وأظلمت الدنيا أمام عييه ، و
وفقد الوعي ..

وعندما سقط مطر خا على ظهره ، رأى (فارس) (سيوت)
يهبط من الطابق العلوى ، وينسم ل سحرية ، قائلا

— حسرت هذه المرة أيها الفارس الأبيض . ستصل الخريطة
إلى (قرطبة) ل موعدها .. ولكيك ستصل قبلها إلى الجحيم .

هتف به (فارس) ل صرامة :

— لا يذهب إلى الجحيم سوى الخونة والكافرين أيها القادر .

أطلق (سيوت) صيحة ساحرة ، وقال :

— لن نلتقى أبدا إذن .

ثم أشار بيده إلى أحد الرجال ، مستطردا ل حرم

— هيا .. فلتته من هذا الأمر .

رفع الرجل سيفه عاليا ، وهتف بصوت غليظ

— سيرف عنقه المقطوع كئيزا ، وسيلوث خلته البضاء

الأنفة .

ثم أطلق صيحة شيطانية ، وهوى بسيفه على عنق

(فارس) ..

وبلا تردد ..

الحصى قائد الحرس الملكى فى (قشتالة) المتخامة كبيرة ، أمام
عرش الملكة (إيزابيلا) ، التى أشارت إليه بالاحتيال ، وسأته
فى بروج :

— أمان من أحمار عن (رودريك) ؟

أجابها قائد الحرس الملكى فى احرام وتجميل :

— وصلت رسالة بواسطة الحمام الزاجل (*) ، تقول إنه قد

بلغ خان (الوادى الكبير) .

سأته فى اهتمام بالغ :

— هل حصل على الخريطة ؟

أوما برأسه إجابته ، وهو يقول :

(*) الحمام الراحل هو نوع من الحمام الخاص بقل الرسائل ،
حيث إنه يستطيع العودة إلى وطنه ، مهما بعدت المسافة ، ويظهر ألف
كيلومتر بلا انقطاع ، وبسرعة كيلومتر فى الدقيقة ، وهو قوى الجسم ،
عريض المنقار ، يعطى الروح منه سنوياً سعة أرواح من الرخايل

— نعم يا مولاتى .. لقد حصل عليها .

ابتسمت فى ارتياح ، وأشارت إليه قائلة .

— حسناً .. انصرف أنت .

لم يكذب بهادر قاعة العرش ، حتى التفتت الملكة إلى فتاة
باهرة الحسن ، رائعة الجمال ، جمعت فى فستانها ما بين الجمال
الأسباني — المتمثل فى شعرها الطويل ، المنسدل على
كفها ، وحتى وسطها ، فى بعمرة ودلال ، وعيناها السوداوين
برموشهما الطويلة الآسرة ، وبشرتها البيضاء — والشموخ
المرى ، بأنفها المرتفع وكبرياتها الواضحة .. وقالت الملكة
مبتسمة فى لحيث :

— أراهن أنك تنظرين عودة (رودريك) بفارغ الصبر

لم يك الحامل على وجه الحساء ، وهى تخب

— إلى حد ما .

تأملت الملكة جمال الحساء ، وقالت .

— هل تحببه يا (غاللا) ؟

لم تبد لها ابتسامة (غاللا) طيبة ، وهى تخب

— أعقد ذلك يا مولاتى .

عقدت الملكة (إيزابيلا) حاضيا ، وهى تتأملها ملياً ، ثم

لم تلبث أن هزت رأسها ، وقالت

— أتعلمين يا (غالا) . إنك و (رودريك) تهذوان لي
مقاسمين تمامًا .

سألتهما (غالا) بابتسامة باهتة :

— لماذا يا مولاتي ؟

عادت الملكة تمز رأسها ، وتقول :

— لأنكما من نفس النوع يا (غالا) . النوع الذى
لا يهكر إلا في نفسه ، وفي رغبانه ، فأنا و (فرناندو) والقيين
من أنه ما كان له خاطر بحياته هكذا ، لولا المكافأة المصححة ،
التي وعده بها الملك .

قالت (غالا) في هدوء :

— أليس من الطبيعي أن يسمى المرء خلف ما يربحه ؟

مطت (إيزابيلا) شفيتها ، وقالت :

— في هذا يختلف عن العرب يا (غالا) ، فهم يقاتلون من

أجل مبادئهم ، أو إعلاء كلمة دينهم وقيمهم

اهتمت (غالا) في هدوء ، وقالت :

— هذا يفتى أما لا يختلف عنهم شيئًا يا مولاتي .

قالت (إيزابيلا) في عصبية :

— بل يختلف عنهم كثيرًا .

هرت (غالا) رأسها نفيًا ، وقالت :

— على العكس يا مولاتي .. إن كل إنسان يسمى خلف
ربحه ، ولكن ليس من الضروري أن يكون هذا الربح ماديًا ،
بل قد يكون معنويًا .

رملتها الملكة بنظرة طويلة ، قبل أن تقول :

— أراك قد تحولت إلى فيلسوفة يا (غالا) !

احت (غالا) أمامها ، وهي تبسم في نحيب ، قائلة :

— محادثتك المراضعة يا مولاتي .

هضت بها الملكة في ضحك :

— وأيهما تفصلين يا (غالا) .. الربح المادى أم المعنوى ؟

لم تفكر (غالا) لحظة واحدة ، وإنما أجابت على الفور :

— مريح مبهما يا مولاتي . إننى أفضّل الكثير من الربح

المادى ، مع شيء من ال.....

بترت عبارتها لحظة ، ثم أردفت في صوت يحمل رلة جذل

ضاحكة :

— من الحب .

وفي تلك اللحظة شعرت الملكة بالقلق من وصيفتها الأولى

وبالحرف

« من لا يهاب الموت ، يهابه الموت .. » ..

عبارة طالما رددتها الشيخ على مسامع (فارس)

وطالما حمطها ورددتها حلقه بدوره

ولكنه لم يتحقق منها أبدا ..

حتى هذه اللحظة ..

لقد هوى السيف على عنق (فارس) بلا رحمة ، وبطلنا

تكبل حركته شبكة لقيلة من حبال قوية ، وأدرك رجال

أعداء ..

والموقف كله يوحي بأنه لا أمل في النجاة

إلا إذا ..

وعند حراف الاستثناء (إلا) هذا تقلب كل الأمور

وهذا ما حدث بالفعل ..

لقد هوى السيف ، حتى أصبح على قيد نبضات من عنق

(فارس) ، ثم تبدلت الأمور كلها دفعة واحدة

وعلى نحو لم يتوكله مخلوق واحد ..

فحاة ، اندفع سيف قوى يستقبل نصل السيف القاتل ،

يلقى الاثنان في صرة عيمة ، وبصليل قوى ، تردد صدها في

الحان طويلة ..

وانفتحت كل العيون إلى القبضة القوية المسكة بالسيف ،

ثم إلى الذراع المفتولة العضلات ، وإلى صاحبها الرخى القوى ،

الصارم الملاح ، ذى العينين الشبيهتين بعيني الفهد .

وارتجفت القلوب ..

ولعل أن يتلاشى صدى صليل السيوف ، امتزج بهزئ

(فهد) ، الذى رفع سيفه في قوة ، فطيطحا بالسيف القاتل

بعيدا ، ثم هوى بسيفه على عنق أقرب الرجال إليه ، وأدار

السيف في قوة وسرعة ومهارة ، وضرب به الشبكة القوية أربع

ضربات سريعة ، مؤثت حبالها إربا ، دون أن تمس ذهابه سيفه

شعرة واحدة من (فارس) ..

ثم عاد سيف (فهد) إلى القتال ..

وقفز (فارس) من الشبكة ، بعد أن تحرر من قيوده ، ورفع

سيفه بدوره ، وانقض على خصومه

وكانت مبارزة رهبة ، بين رجلين ، وعشرة أولاد

والمعجب أن الناظر إلى المعركة ، كان يرى أمرا غريبا ،

فلقد كان الرجال يتزاحمون في خوف ، أمام سيف (فارس)

و (فهد) ، على الرغم من أنهم يفوقونهما عددا بأربعة

أضعاف ..

ولكن صوت السيوف كان يطنى على صوت العقول ..
لقد راح (فهد) و (فارس) يبدوران ويحولان
ويحولان ، وسيفاهما يرتفعان وينخفضان ، ونهويان ويضربان
في سرعة ، وشجاعة ، وبأس ..

وارتجفت العجوز (راحيل) ، وهي تشاهد ما يحدث ،
وارتجف ابنها (ليلي) ، في الطابق العلوى ، فأشارت هي إليه
أن يلحق بها في قبر الحان ، فأصرع يبط إليها من ملأ حلقى ،
وعطف بها في رعب :

— أمّاه . إيهما يباللان كأسيدين .. لقد فقدنا أربعة رجال
حتى هذه اللحظة .
أجابته في صرامة :

— لا ترتجف هكذا كالسقاء .. أنت تعلم ضرورة أن يربح
(الفشتاليون) المعركة ، فارتفاع هامة العرب يقضى على هامتنا
نحن ، وعمما من تحقيق حلم بلوغ أرض الميعاد .
لهم

— أعلم يا أمّاه .
أمسكت كفه في حزم ، قائلة :
— من الضروري إذن أن يجمع (رودريك) في بلوغ
(قرطبة) .. هل تفهم ؟

صمتا لحظات ، وهو يتطلّع إلى عيها الصارميتين ، ثم
أجاب :

— أفهم يا أمّاه .
قالت في حزم :
— ردّد حلقى سأبدل ما يوسمى لتصل الخريطة إلى
(قرطبة) .

ردّد في حماس :
— سأفعل .
رثت على كفه ، قائلة :
— حسنا . اطلق إذن ، قبل أن ينهى القول ، فليست أظنه
يخسّم لصالحنا .

سأها في قلق :
— ولكن ماذا سفعلين أنت ؟
أجابته في صرامة ، لا تناسب عمرها :
— اطمئن .

ثم انتفعت من حائط القبر سكينا حادّة ، ورفعتها
مستردة :

— أمثك تعرف من أين تؤكل الكتف .
وأطلقت صرخة شيطانية محممة ..

شارف القتال نهايته في الحان ، فلقد سقط الثمانية من
الرجال ، الذين استأجرهم (رودريك) ، وبقي الثمان ، أمام
سيفي (فهد) و (فارس) ..
وأدرك الرجلان أنه لا أمل لديهما ، أمام سيفين عربيين
مثلهما ، فألقى أحدهما سيفه ، وهتف في رعب :

— الرُّحمة !! الرُّحمة !!

وكأنما كانت هذه إشارة لزميله ، الذي ألقى سيفه بدويرة ،
وهتف :

— إنا نسلم بإسادة العرب .

أعاد (فهد) سيفه إلى غمده على الفور ، في حين قلب
(فارس) شفتيه ، وغمغم في اردراء

— بالحفارة والنَّجْن !

رفع (فهد) عينه إلى أعلى ، ثم رفع يده يشير إلى أعلى
السُّلَم ، فتبع (فارس) إشارته ، وهتف :

— هذا الوهد !!

كان (فهد) يشير إلى (سينوت) ، الذي الصقه الرُّعب
المائل بالحائط ، منذ بدأ القتال ، ومنذ ظهر (فهد) ، دون أن
يجرؤ على تحريك أنامله قيد أنملة ..

وعندما قهر (فارس) إلى السُّلَم ، ليبلغ (سينوت) ،
انحلَّ تسمر هذا الأخير ، وانفصص انتفاضة عيفة ، وأطلق
صرخة رُعب ، ثم انطلق يحدو محاولاً الفرار ، إلا أن (فارس)
لحق به ، فامسك (سينوت) بجائتيه على ركبتيه ، وهتف في ارتياح
وضراعة :

— الرُّحمة يا فارس الفرمسان !! الرُّحمة !!

وصح فارس سيفه على غُنى (سينوت) ، وهو يقول في
صرامة :

— أين ذهب (رودريك) ؟ وماذا فعل بالحريطة ؟

هتف (سينوت) في رُعب :

— لا يمكن أن أحرك . سيفتلوسي لو فعلت
لا يمكنني .

رجح (فارس) ، وهو يقول في لغة صارمة محممة .

— متعبرني أيها الوغد ، وإلا نرت عفتك الحيل هدام
لقاعدته ، بضربة سيف واحدة .

منندى الريفندى لولو

وصح فارس سبعة على

غنى (سيوت) وهو

يفسول فى صرامة

— أين ذهب (رودريك) ؟

وماذا فعل بالخريطة ؟

جحظت عينا (سيوت) ، ودارتا فى محوريهما ، من شدة
الرعب ، وهذا من الواضح أنه هبة لشقين من الصرع الهائل ،
والله يحجز عن اتخاذ قراره ، بالروح بما لديه ، خشية شىء ما ،
جعل (فارس) يتف به :

— ما الذى تخشاه أكثر من الموت يا رجل ؟

البعثت ضحكة العجوز من أسفل ، وهى تهف .

— العذاب .

التفت إليها (فارس) و (فهد) فى حركة حادة ، ورأياها

تجلس إلى حوار (مهاب) الفاقد الوعى ، ويدها مكين

حادة ، وهى تستطرد فى شماعة أشبه بالحدل

— والآن عليكم أن تختارا بدوركما إما الرحيل وحكما ،

أو مشاهدة غنى رفيقكما ، وأنا أبتزه .

ووصعت نصل السكين على غنى (مهاب) ، وأطلقت

ضحكة ..

ضحكة شيطان مرهق ..

٦ — شرف الفرسان ..

استنقذ الحكيم الشيخ ، ل معسكره بالقرب من
(غرناطة) ، على وقع حواله جواد يقترب من الغم ، لهب
من فراشه ، ومد يده يلتقط سببه ، وهو يهضم :
— كم صار السيف لقيلاً ، منذ بلغ عمر مشيب الشعر ربع
قرن من الزمان .

غادر خيمته ، ووقف أمامها حاملاً سيفه ، ومحاولاً احتراق
حبيب الطلام ، لتبين ذلك الفارس ، الذي يقترب من الغم
على صهوة جواده ..

وعلى صوء القمر والنجوم ، رأى الفارس يتجاوز آخر
صفوف الأشجار ، ويتجه إليه مباشرة ، فاشتدت قبضته على
مقبض سيفه ، وهو يهضم :

— اهلاً هو أم صديق ؟

توقف الفارس أمامه مباشرة ، وقال لي هدوء

— مساء الخير أيها الوزير ..

بدت ملامح الفارس واضحة شيئاً ، على صوء القمر ، ولم
يكذ الشيخ بتبين هذه الملامح ، حتى ترك سببه يسقط أرضاً ،
وهو ينحن نصف انحناء ، قائلاً لي احترام واضح

— مولاي (محمد) — سيد سي الأحرار ، وأمير
(غرناطة)^(*) مرحباً بحلالتي في محبتي المواضع

هبط الأمير (محمد) عن صهوة جواده ، وهو يقول
— مرحباً بك أنت في (غرناطة) أيها الوزير

ابتسم الشيخ ، وهو يقول :

— لم أعُد وزيراً يا مولاي . إني أنا محمّد شيخ وحيد
هز الأمير رأسه ، وقال :

(*) بنو الأحرار هم سلالة (أبو عبد الله الغالب بالله محمد بن يوسف
بن محمد بن أحمد بن حميس الخروحي) ، الذي لقب بـ (ابن الأحرار) ،
والذي كان حديثاً مؤسس العزم والخبرة . ثم تمت بهجته أميراً
لـ (غرناطة) ، ودخلها في أواخر رمضان عام ٦٣٥ هـ (أبريل ١٢٣٨
م) ، وظلّ يسلك بحكمها حتى سقوط (الأندلس) ، عام ٨٩٧ هـ
(١٤٩٢ م)

— أتت الدي رخص المصب أيها الشيخ — لقد عرّصه
عليك مد مايقرب من عشرين عامًا ، عندما أتيت من
(قرطبة) ، وكنت أعتى الاستفادة من حكمتك وحبرتك ،
ولكن

لم يتمّ الأمير عبارته ، وكأنما لم يجد داعيًا لذلك ، في حين
انحى الشيخ ، وعمهم

— للضرورة أحكام يامولاي .

هزّ الأمير رأسه متهمًا ، ثم قال بعد لحظات من الصمت
— أتعلم ما نقله لي رجالي اليوم ؟

اكتفى الشيخ بانتسامة هادئة ، دون أن يمس بهت شفة ،
فصاح الأمير ، وكأنما لم يكن بدوره يسطر حواتها
— لقد أحروني أن فارسًا أبيض الثياب ، أحصر السيف
والتطاف ، حتى الحودة ، قد ظهر في طرقات (غرناطة) هذا
الصباح ، على حواد بلاسح أو لحام

ثم رمق الشيخ بظرة حابية ، مستطرذا

— أنعمم بم ذكرى الرئي والحواد الأبيض "

لم يحب الشيخ هذه المرة أيضًا ، فاعتدل الأمير وسأله
— أهو ابنه ؟

أوما الشيخ برأسه إيمانًا ، وقال هذه المرة
— إنه هو يامولاي .

تهذ الأمير ، وعاد يسأله :

— أمس أحبه رخص المصب ، ورخصت الإمامة في قصر
الحمراء ، وفصلت العيش في هذا الثيم . على مشارف
(غرناطة) ؟

أجاب الشيخ في هدوء :

— نعم يامولاي .

ابتسم الأمير ، وقال :

— أراهن أنك قد صنعت مه فارسًا لا يثنى له عمار
لم يحب الشيخ ، وإنما اكتفى بانتسامة هادئة ، جعلت الأمير
يسأله في فصول واضح :

— من علمه القتال ؟

أجابه الشيخ في اقتصاب :

— (مهاب) .

رفع الأمير حاجبيه ، وهتف

— (مهاب) " أنفى قائد فرسان والده ؟

أوما الشيخ برأسه إيمانًا ، هزّ الأمير رأسه في إكثار ، ثم
عقد كفيه خلف ظهره ، وسار قائلًا :

— بالثروعة ! . إذن فقد احصم الابن ، ومنحته أنت
علمك وحكمتك ، في حين علمه (مهاب) القتال والصرب
والترال صدقي يا رجل . لقد صمم من هذا الشاب
معجزة .

ثم التفت إلى الشيخ يسأله :

— قل لي هل تعلم لماذا أتيتك وحدي ، دون رفيق أو
حارس ؟

أجابه الشيخ :

— لأنك أردت أن تعلم .

ابسم الأمير ، وقال :

— كنت واثقا من أنك وراء كل هذا ، وأنى استطع

الإفادة من فارسك هذا ، من أجل (الأندلس)

ثم التفت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— وأنا هنا ، لتسيق هذا معك .

بدا الارتياح على وجه الشيخ ، وهو يقول

— أنا وهن إشارتك بامولاي .

وبدا فصل حديد من فصول ملحمة الفارس .

فارس (الأندلس) ..

كان الموقف دقيقا للغاية في الحان ، والمجوز مهدد بذهاب
(مهاب) العاقد الوعى ، أمام عيسى (فارس) و (فهد) ،
ولقد شعر (فارس) بالنصب إزاء الموقف ، وقال للمجوز في
صرامة وجلظة :

— ابتعدى عن (مهاب) أيها الخيرون ، وإلا فالقسم أن
أقطعك إرثا ، لو مسست شعرة واحدة من رأسه .

أطلقت المجوز ضحكة شيطانية أخرى ، وقالت :

— بل القسم أنا أن أدبحه كالشاة ، لو لم تغادرا المكان
بأنفسي سرعة .

ابتعد النصب مع حاحى (فارس) ، وهو يقول

— أيها المجوز اللعينة .

ثم التفت إلى (فهد) ، وقال :

— صوب سهمك إلى رأسها يا (فهد)

وبأسرع من لمح البصر ، كان (فهد) قد انزع قوسه

وسهمه ، وصوب الأخير إلى رأس المجوز ، التي انتصت في

خوف ، ثم هطت في عصبية :

— إنك لن تقتل امرأة . فرسان العرب لا يفعلون هذا

أجابها (فارس) في صرامة :

— كل شيء مُباح في الحروب أيتها الحفيرة ، وهذا الزلجى ،
الذى يصوب إليك سهمه ، يأتمر بأمرى ، وينفذ كل ما أمليه
عليه دون تردد أو تفكير ، وأقسم أن أمره يقطعك شر قذلة ،
لو مسست شعرة واحدة من رأس (مهاب) .

تردّدت المحور في مخوف ، ثم قالت في جدّة :

— وماذا لو أسى لأحشى الموت ؟

أجابها في صرامة :

— أنت قلّتها أيتها المحور .. العذاب يكلف أكثر من

الموت ، و (فهد) لن يطلق سهمه على قلبك ، بل على

أحشائك ، حيث تكون الآلام مُبرّحة هائلة ، وكأن النيران

تسعر في أعماقك ، لتحتين الموت ألف مرّة ومرّة

تخبط وجه المحور ، وارتعد السكين في قبضتها ، في حين

استغلّ (سيرت) انشغال (فارس) بالحدث معها ، واستغلّ

خجسته المسموم في حذر ، ثم رفعه عاليًا ، وصرخ :

— قُت أياها الفارس الأبيض .

وهوى بالخنجر على قلب (فارس) .

ابتسم (فرناندو الخامس) ، عندما دخلت (إيرايملا) إلى

قاعه ، وقال :



والمحور عهد يدهج (مهاب) العاقبة
الوصى ، أمام عيني (فارس) و (فهد)

— واعبريني (إيرايل) ، بلوح لي أن ابتسامتك تحمل نبأ
التصاريخ ، فهل أنا على حق ؟

ابسمت قائلة :

— تمامًا يا عزيزي .

ثم جلست على مقعد واسع ، فوشى بالذهب ، وهي
تستطرد :

— لقد وصلت رسالة أخرى ، بالحمام الراحل ، يقول فيها
(رودريك) إنه مارال يحنط بالخرطة ، وهو في طريقه إلى
ها

نعم (فرنانسو)

— عظيم

والنقط كأننا من الحمر ، ناولها إليها ، وهو يلفظ كأننا
أخرى ، قائلاً :

— ستبح لنا هذه الخرطة احتراق دفاعات العرب ،
وهدم آخر حصونهم فوق رؤوسهم ، حتى ترتفع رايتنا فوق
(الأندلس) كلها .

وارتشف رشفة من كأسه ، ثم سأل الملكة .

— أحريني يا عزيزي ، مادام (رودريك) هذا يجيد
إرسال الرسائل بواسطة الحمام الراحل هكذا ، فلم لا يرسل
الخرطة بالوسيلة نفسها ، بدلاً من أن يركض بها ليلة الليل
هكذا ؟

أحبه وهي ترتشف كأسها في بطن

— لأن الخرطة على رفعة لينة ، يمحرم الحمام الراحل عن
التحليق بها .

من شغفه في استكثار واستحسان ، ثم لم يلبث أن ابتسم ،
وقال :

— لا بأس إن غدا لناظره قريب مصل
(رودريك) بالخرطة ، ونفذ نحن لحظتنا ، و .

صرب كأنه بكأسها ، مستطرداً في جدل

— ونشرب نحن النصر .

وابسما معاً ..

كان (سيوت) قريباً من (فارس) للعبادة ، حتى أنه لم
يتصور أن يخطئ مخرج قلب بطلنا ، إلا أن (فارس) تحرك في
سرعة ، ومال جانباً في رشافة ، ثم رفع قبضته ليقبض على معصم
(سيوت) بأصابع من فولاد ، ويقول في غضب صارم

— أيها الوغد الرقيم . أردت طعنى من الخلف ؟

صرخ (سيوت) فى ألم وزعب :

— الرُّحمة أيها الفارس . الرُّحمة .. كانت لحظة جُنُون .

سأله (فارس) فى صرامة :

— أين ذهب (رودريك) بالخرطة ؟ . أحب وإلا

مُرَّقتك إرثًا .

كان زُعب (سيوت) قد بلغ مبلغه هذه المرة ، فهتف :

— لقد رحل على صهوة جواد آخر ، وترك جواده ها

للعليل

صرخت المحور (راشيل)

— لا تخبره شيئًا .

ولكن (سيوت) تجاهل صيحتها ، وهو يتابع

— لقد اتخذ الطريق المباشر إلى (قرطبة) ، وسيلها قبل

الفجر .

دفعه (فارس) ، قائلاً فى ازدهاء :

— اذهب أيها الجبان الخفر .

سقط (سيوت) أرضًا ، ثم هبَّ صائحًا ، وهو يرفع

خنجره عاليًا :

— كان يسمى أن تتزع خجري أيها العربى ، أو .

استدار إليه (فهد) فى حركة سريعة ، وأطلق نوحه سهمه .

فانهر السهم فى قلب (سيوت) ثمًا

وجحظت عيناه (سيوت) ..

وسقط خنجره المسموم فى يده ..

وسقط هو خلفه جثة هامدة ..

وبسرعة مذهشة ، وقبل أن يستقر جسد (سيوت) على

الأرض ، كان (فهد) يصع سهمًا جديدًا فى قوسه ، ويصوبه

إلى المحور ، التى ارتجفت على نحو واضح هذه المرة ،

وهتفت :

— لا تقتلنى أيها الفارس .

رفع (فارس) رأسه إليها ، وقال فى صرامة

— أبعدى السكين عن عنق (مهاب) .

هتفت :

— ليس قبل أن أحصل منك على وعد

قال فى صرامة :

— وعد بمآدا ؟

أجابته وهى ترتجف :

— بألا تمس شعرة واحدة مني .

أجابها بلا تردد :

— لك هذا .

أبعدت السكين عن عنق (مهاب) ، فهتف (فارس)

« (فهد) :

— افحصه يا (فهد) .

أسرع (فهد) بفحص (مهاب) ، في حين هبط (فارس)

إلى حيث المحور ، ودفعها أمامه ، قائلاً .

— سأبقي على حياتك ، ولكني سأضعك في القبر حتى

ننصرف .

رغمته بنظرة ملؤها البغض والكراهية ، دون أن تمس يمينه

شعرة ، وهو يدفعها أمامه إلى القبر ، ولكنه لم يكذب بطلق يابه

حلفها ، حتى ابتسمت ابتسامة خبيثة مقيتة ، وقالت :

— لا أحد يبرم (راشيل) بهذه السهولة أيها العربي .

وأسرعت إلى عدة أخصاص ، تحوى عددًا من الحمام

الزاحل ، وأخرجت واحدة من الحمام ، ذات صدر قوي ،

ورصعتها في فمها حال ، ثم التقطت رقعة صغيرة ، وراحت

تخط عليها بصح كلمات في سرعة ، حتى انتهت منها ، وعادت

إلى الحمامة ذات الصدر القوي ، وربطت الرقعة إلى ماقها في

إحكام ، ثم التهمت بها إلى نافذة صغيرة ، في أعلى جدار القبر ،

وهي تقول في شخوية :

— هيا .. اطلقني إلى أسياذك ، وأحبرهم أن (راشيل)

ستظل محللة لهم ذومًا ، حتى ينادر آخر عروى أرض

(الأندلس) .

وأطلقت الحمامة ..

ونطق الطائر البريء بأجنحه ، وهو يطلق نحو

(قرطبة) ، دون أن يدرك أنه يحمل في قدمه رقى الحياة

والقدو ..

أما (فارس) ، فقد أغلق باب القبر على المحور ، وأعاد

سيفه إلى غمده ثم عاد أدراجه إلى حيث يلف (فهد) ، وسأله

في قلق :

— كيف حال (مهاب) ؟

لم ينجب (فهد) بحرف واحد ، وإنما أشار إلى جراح

(مهاب) ، التي أصابك في كتفها ، فاقرب منه

(فارس) ، وفحص (مهاب) في اهتمام ، ثم نفّس الصعداء ،

وقال :

— حسنا إنه فاقد الوعي فحسب ، ولكن جراحه يحتاج إلى عناية خاصة .

وبعض مستطرذا في حزم :

— احمله إلى الشيخ يا (فهد) إنه الوحيد الذي يمكنه معاونته الآن .

ظهر شيء من القلق في عيسى (فهد) ، فاستطرد (فارس) :

— لقد انطلق الجاسوس عائذا إلى (فرطبة) ، ولا بد من اللحاق به ، قبل أن تقع الخريطة الدفاعية في أيدي سادة (قشتالة) .

فأما وأسرع نحو جواده ، ووثب على صهوة ، وهو يهذب معرفه ، هائفا به :

— هيا يا (رفيق) أعلم أنك متعب بحق ، ولكني سأطالبك بمجهود أصال يا صديقي ، وإلا فقدما إلى الجاسوس ثم انطلق بجواده الأبيض ، مستطرذا

— هيا يا (رفيق) . من أجل (الأندلس) وغاب اللذان وسط الظلام ..

انطلق (رودريك) بجواده ، يهب الأرض نهبا ، في طريقه إلى (فرطبة) ، حيث تنتظره مولاه (إبراهيم) ، ملكة (قشتالة) ، ووصيفتها العاتية (غاللا)

واقتسم (رودريك) ، وهو يسرع مع ذكريات غرامه مع (غاللا) ، وحامها العنان ، وهتف بصفه .

— أسرع يا (رودريك) .. أسرع ، لنعم هدف ، (غاللا) وحيتها ..

لحظة ، لحول إليه أن لوقع حوافر جواده صدى واصفا ، يتردد من بعيد ، ثم لم يلبث أن انتبه إلى أن هذا ليس صدى حوافر جواده ، وإنما وقع حوافر جواد آخر ، فنفذ صاحبه ، وعلمهم في قلق :

— عجبنا !! يبدو أنه هناك من ينبغي

مال بجواده جانباً ، وأوقفه إلى جوار شجرة ضخمة ، ثقلت أفرعها بثمار المواكه الناضجة ، وقصر من على صهوة الجواد ، وربط لجامه إلى فرع كبير ، ثم استل سيفه ، واختفى خلف الجذع الضخم ، يراقب الطريق ، وهو يقول في الخفوت

— نعم هناك شخص يقترب على صهوة جواد قوي .
تباً لظلام الليل ، الذي يعجزني تعرفه

ثم ابتسم وهو يستطرد في شغريته :

— ولكن من يحتاج إلى تعرف فارس أيضاً مفرور ، قليل الحرية .

احتضى خلف الشجرة ، وتابع جفية ذلك الفارس ، الذي يقرب في سرعة ، حتى صار على قيد متر واحد منه .

وهنا لفز (رودريك) من خلف الشجرة ، ورفع سيفه في وجه الخوادم ، مطلقاً صرخة قوية ، رفع لها الخوادم فالتفتهم الأماميين ، وأطلق صهيل فرع ، في نفس اللحظة التي انقضت فيها (رودريك) على الفارس ، صارخاً :

— مَثْ أَيْهَا الْعَمَى .. مَثْ .

وطعن الفارس في صدره ..

ونحاص سيفه في الصدر حتى مقبضه .



٧ — السَّهْم ..

كان الظلام والليل يمتدّان بلا نهاية ..

والقمر يعمّط السماء ..

وزفّع حوافر جوادهين يملأ الأسماع ..

هكذا كان المشهد ..

كان (فهد) يعذو بجواده ، وقد امتزح لونهما بلون الليل السيم ، وقد أمسك (فهد) بجام جواده آخر ، وقد طوقه (مهاب) ، الذي لم يستعد وعيه بعد ..

وكان الصمت هو رفيق (فهد) كالخادم

ثم قطع (مهاب) هذا الصمت ..

قطعه وهو يتأوّه ، ويهملهم :

— أين أنا ؟ .. ماذا حدث ؟

استعاد وعيه وانتبه إلى المشهد ، فاعتدل يستقرّ على صهوة جواده ، وهو يحلف :

— (فهد) ١٤ . إلى أين نطلق ؟ أين (فارس) ؟

أوقف (فهد) الخوادم ، والتفت إلى (مهاب) ،

وتكلم ..

تكلم (فهد) في حرم واقصاب ، وبصوت عميق ..

عميق وكأنه يأتي من أعماق صحيفة

قال كلمتين فحسب :

— يكمل مهنته .

كانت واحدة من المرات السادرة ، التي سمع فيها

(مهاب) صوت (فهد) ، طوال عشرين عامًا ، حتى أنه

أحد بالغواب لحظات ، قبل أن يهتف

— يا إلهي ! هل انطلق وحده حلف (رودريك) ؟

وإلى أين يجهان بالله عليك ؟

أجابه (فهد) في القصاب :

— (قرطبة) .

هتف (مهاب) :

— (قرطبة) ؟

ثم جذب عمان حواده ، وهتف وهو يديره في حرم

— لن نتركه وحده غداً يا (فهد) . صلح به

لم يحب (فهد) ، أو ليس يست شعة ، وكأنما أفرغ كل

مالديه في الكلمات القليلة ، التي تحدث بها إلى (مهاب) .

والما أدار عمان حواده وحواد (مهاب) ، وعاد ينطلق بهما إلى

طريق (قرطبة) ..

وفي تولر بالغ ، قال (مهاب) :

— لم يكن ينبغي أبداً أن تترك (فارس) وحده ..

تجمل إليه أنه يتحدث إلى نفسه ، عندما لا (فهد)

بالصمت التام ، فاستطرد :

— إنه عبيد كما تعلم ، وتفحص الحرية العملية ، ومن الممكن

أن يوقعه (رودريك) في فخ ما ، أو يصير هو على مطاردة هذا

الأخير ، غير حدود (الأندلس الصغرى) ، إلى أرض

الأعداء .

حاو به الصمت المطبق مرة أخرى ، فحذب عمان حواده

في قوة ، محملاً آلام حراحه ، وهو يهتف في حدة

— حسناً يا (فهد) سأبيع مبدأك لا داعي

للكلام دعنا نطلق بأقصى سرعة للحاق به (فارس)

ثم مطّ شفيه ، واستطرد في تولر بالغ

— قبل أن نفقده .. إلى الأبد .

العقد حاجبا (رودريك) في شدة ، وهو يحدق في وجه
الفارس ، الذي أعمد سيمه في صدره ، قبل أن يهتف في دهشة
بالغة :

— (ليلي) ..

هت الشاب ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وقال في ضعف
— سيدي . أردت النحاق بك ، لأحرك أن الفارس
الأبيض قد قد هزمه الرجال وسيلحق بك ، و . . .
و . . .

أطلق شهقة أحيرة ، ثم لمظ آخر أنفاسه ، وتخمرت عيانه ،
فاحمدل (رودريك) ، وقال في حدة
— غبي

ثم تطلع إلى الطريق ، وأصاف في قلق
— ذلك الفارس يطاردي إذن . ياله من موقف ! هذا
يضع أمامي أسلوبين فحسب ، إما أن انتظره ، وأقاتله ، أو . . . أو
أطلق بأقصى سرعة لأسيفه ، وأبلغ (قرطبة)
صمت لحظات معكرا ، ثم قال في حرم
— لا تخاطرها (رودريك) . المهم أن تبلغ (قرطبة) ،
.....

أطلق ضحكة عصبية ، وأضاف :

— وفراغتي (ظالا) .

ثم قفز على صهوة جواده ، وجذب لجامه ، وانطلق به نحو
الهدف ..

نحو (قرطبة) ..

لم يتوقف جواد (فارس) الأبيض الأصل عن العدو ، ليلة
الليل ، على الرغم من الرحلة الطويلة ، التي قطعها ، من مخيم
الشيخ إلى (غرناطة) ، ثم إلى حان (الوادي الكبير) ، وعلى
مته (فارس) ، الذي يثقة على المواصلة ليلة الوقت ، مشددا
له بعض الأشعار الحماسية ، كما لو كان صديقا بشريا عاقلا ..
وعندما تلون الشفق بألوان الفجر الأولى ، ربت
(فارس) على غنق جواده (رفيق) ، وقال :

— اهذل أقصى جهدي يا (رفيق) .. إننا نقرب من
حدود مملكة العدو ، ولو بلغها ذلك (القشتالي) قبلنا ،
ستعز من (الأندلس) لخطر ماحق .

وكأنما أدرك الجواد العربي ما يقوله فارس ، فقد زاد من
سرعته ، وراحت قوائمه تنهب الأرض تبها ، على الرغم من أنها

كانت تبدو — للناظر من بعيد — وكأنما لا تمس الأرض قط ،
حتى لاح حواد (رودريك) من بعيد ، يحدو نحو تل يكسوه
العشب الأخضر ، فهتف (فارس) :

— أسرع يا (رفيق) أسرع يا صديقي لا بد أن يبلغه ،
قبل أن يبلغ هذا التل

ول نفس اللحظة لمح (رودريك) (فارس) ، وهو بحث
حواده على اللحاق به ، فأطلق صيحة ساحرة ، وهو يقول
— حموت يا فارس العرب . ما إن أصعد ذلك التل ،
حتى ألقي بحامية الدفاع عن (قرطبة) ، التي سبقت فرسها
كلهم للذود عني ، وقتلت شر قتلة

كان الاثنان يطلعان بأقصى سرعتيهما ، ولكن المسافة التي
تفصلهما طلت لامية نفريتا ، وراح (رودريك) يقترّب من
التل في سرعة ، فقال (فارس) في صبق
— لن للحق به هكذا يا (رفيق) .

ثم حذب معرفة حواده في حرم ، فسهل الحواد سهيلا
قويًا ، وكأنما يعترض على إيقافه ، ولم يدع السباق منهاه بعد ،
إلا أنه أطاع الأمر ، وتوقف ، وهو يصرب الأرض بحوافره في
غضب ..

ول هدوء وثقة ، حل (فارس) قوسه وسهامه ، وثبت
قاعدة سهمه في وتر قوسه ، وجذب الوتر في إحكام ، وسدد
سهمه ، و.....
وأطلقه ..

ول نفس اللحظة ، كان (رودريك) يطلق صيحة ظافرة
عالية ، ويهتف :

— انتهى السباق أيها العربي .. لقد دبح (رودريك) ،
و.....

بتر عبارته بنحة ، مع سهيل ألم من حواده ، الذي تطر
لجأة ، وأسقط فارسه أرضًا ، فهض (رودريك) يهتف في
غضب :

— اللعة !.. أما وجدت سوى هذه اللحظة لتطر ، أيها
الجواد ال.....؟

اختلعت بقية الكلمة في حلقة ، وهو يحدّق في ذلك السهم ،
الذي الفرس في فخذ حواده ، ثم أدار رأسه في حركة حادة ،
وتطلّع في ذهول إلى (فارس) ، الذي يحدو نحوه ، على صهوة
جواده الأبيض ، ثم عاد يحدّق في السهم ، هائمًا .
— مستحيل !.. من هذه المسافة !..

اقترب وقع حوافر حواد (فارس) منه في سرعة ، فعقد حاجبيه ، مستطرذا في جعدة .

— ولكن لا لن يهرم عري (رودريك)
وبسرعة ، احتطف قوسه وسهمه ، وصوب السهم نحو صدر حواد (فارس) العري الأصيل .
وأطلقه ..

وكان السهم مستددا في إحكام ..
في إحكام شديد ..



٨ — المواجهة ..

اقتحمت الملكة (إيزابلا) جناح الملك (فرناندو) ،
وهي تهتف في تولر بالغ :
— مصيبة أيها الملك .. مصيبة .

هتف الملك من فراشه ، وهو يقول في قلق :
— آه مصيبة يا عريوتي (إيزابلا) تلك التي تحدث قرب
البحر ؟ هل هاجم العرب حدودنا ؟

عقدت حاجبها ، وهي تقول :
— لم يحن وقت هذا بعد .
ثم دفعت إليه رقعة صغيرة ، مستطردة :
— هناك فارس بطارد (رودريك) ، ويسمى لانتزاع
الخريطة منه .

هتف في ضيق :
— فارس واحد ؟ .. أصابك كل هذا الذعر ، من أجل
فارس واحد ؟!
فالت في غضب :

— إنك لم تقرأ بعد ذلك الوصف ، الذي وصفه
(راشيل) لذلك العارس .

تائب وهو يأسا :

— من (راشيل) هذه ؟ وصيفة جديدة من
وصيفاتك ؟ كيف لم يسبق لي أن رأيتها ؟
حدثته بطريقة مُخففة ، وهي تقول

— اطمئن أيها الشره . إنها ليست واحدة من وصيفاتي ،
ولن يسعدك أبدا أن تراها ، فهي الصورة المناقصة تماما
لوصيفتي (غاللا) ، التي تسألني إلى ححرتها سرا ، في ليالي
الشتاء الباردة .

عقد حاحيه ، وهو يقول في الخشونة

— حسنا . ماذا تقول (راشيل) هذه عن العارس ؟
أجابته في جدّة :

— تقول إنه يرتدى زيا أبيض اللون ، ويتمنطق ببطاق
وسيف أحمرين ، ويضع على رأسه خوذة من العصا ، و .
قاطعها في الفعال :

— ويتمنطق جوازا بلا سرح أو لحام
قالت في حزم :

هَبْ الملك من فراشه ،
وهو يقول في قلق :
— آية مصيبة يا عزيزتي
(إيزابيللا) تلك التي
تحدث قرب المحر ؟

— تماماً

امتدح حاجباه في شدة ، وتمم :

— ولكن هذا مستحيل !

وتحس خرجاً قديماً في ذراعه ، قبل أن يستطرد في كراهية :

— الموتى لا يعودون إلى الحياة أبداً .

قالت في صوت حاسم :

— ولكن أبناءهم يكملون المسيرة .

التفت إليها ، يسألها في حزم :

— ماذا تعنين ؟

أجابته في لجة ذات مغزى خاص :

— هل تذكر كيف احتفى ذلك الورير ، واحتفى معه الابن

الرصيع ، بعد مصرع الجميع ؟

أجابها في انفعال :

— إنني أذكر هذا بالطبع .

ثم عاد يتحس خرج ذراع ، مستطرداً في بعض

— لقد احتفى الزئي أيضاً ، حتى أننا لم نعلم عليه أبداً

قالت مبتسمة في لحث :

— هاهو ذا قد عاد .

ضرب قبضته في قائم فراشه ، صائحاً :

— اللعنة !!

ثم بدا وكأنه قد اعتلأ بحماس فائق ، وهو يستطرد :

— أخبريني .. أين نجد (رودريك) وذلك الفارس

الأيمن ؟

أجابته في حماس مماثل :

— لقد اتخذنا الطريق المباشر إلى (قرطبة) .

ثم أضافت في لجة :

— هل نرسل فرقة لجددة (رودريك) ، والقضاء على

ذلك الفارس ؟

هز رأسه نفياً ، وقال :

— لا إرسال فرقة كاملة قد يثير العرب ، لبدأ بيننا وبينهم

حرب ، لم نستعد لها بعد .

وابتسم ابتسامة وثيقة ، مستطرداً :

— ثم إن (رودريك) هذا — حسبما أعلم — فارس عظيم ،

لا يحتاج إلى فرقة كاملة لهزيمة فارس واحد ، مهما كان هذا

الفارس .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— ما لم يكن عرامه لـ (غاللا) قد استترف حجاب وبأسه
سألته في جدّة :

— دغك من هذا ، وأحرى ماذا تعمل ؟

مطّ خفيه ، وقال :

— سأرسل ثلاثة من أفضل فرساننا فحسب .

وعاد حاجباه يتعقدان ، وهو يضيف

— وسأطلب منهم تمزيق ذلك الفارس إربا ، وإحضار ثوبه

الأبيض إلى هنا .. تحت قدمي ..

وفي أعماقه تأخّمت بيران الشر ..

كان السهم يطلق نحو صدر الخواد العربي تحاميا ، دون أن

يحاول (فارس) الابتعاد بخواده ، أو الميل به يمينا أو يسّرا ،

حتى أن (رودريك) هتف في طمر .

— لقد وقعت أيها العربي ..

ولكن قنّهات ..

لقد كان (رودريك) الأسباني يواجه فارما عريّا

متميزا ..

كان يواجه (فارس الأندلس) ..

لقد انتظر (فارس) ، حتى صار السهم على قيد أمتار قليلة

من صدر جواده ، ثم حذب معرفة الخواد ، صائحا

— الآن يا (رليقي) .

وفي مشهد رائع ، وأداء مذهل ، لم ير (رودريك) مثله من

قبل ، في حياته كلها ، رفع الخواد الأبيض قائمته الأماميتين ،

وقفز ..

بل طار في الهواء ..

وشاهد (رودريك) — في ذهول — سهمه يمزق أوصال

الخواد الأبيض ، الذي تجاوز السهم بوثبة مدعنة ، قبل أن

يستقر مرة أخرى على قوائمه ، ويواصل عدوه نحوه ..

ومن شدة المفاجأة ، لم يتحرك (رودريك) قيد أنملة ،

حتى يلغم (فارس) وخواده ، واعتدل (فارس) على صهوة

الخواد الأصيل ، وقال :

— الخريطة أيها (القشتالي) .

عقد (رودريك) حاجبيه في غضب ، واستل سيفه ،

قائلا :

— امبط وحدها بمسك أيها العربي

ولب (فارس) من على ظهر حواده إلى الأرض ، واستل
سيفه بدوره ، وهو يقول في حزم :

— كما نشاء يا رجل .

ابتم (رودريك) في مخربة ، محاولاً التل من لغة
خصمه ، وهو يقول :

— إذن فأنت تصور نفسك فارساً ، فتقود حوادك دون
سرح أو لحام ، وتقاتل دون درع

أشرفت الشمس في اللحظة نفسها ، وانعكست أشعتها على
الحلوة الفضية ، والسيف الحاذ ، فبدأ (فارس) أشبه ببطل
أسطوري ، وهو يهيب :

— قاتل يا رجل ، وكف عن اللغو والحدب

ألقى (رودريك) درعه جانباً ، وهو يفض هائماً .

— فليكن

والنقى الفارسان ، والنقى سيفهما ، وتعالى حليل السيوف
في الوادي ..

مبارزة قوية هي ..

السيوف تصادم وتتبادل ..

الأنفاس تعلو ويهبط ...

والنقى لفارسان ، والنقى سيفهما ، وتعالى حليل السيوف في الوادي

القلوب تبهر وتحقق ..

والفارسان يتقاتلان ..

لم تكن مجرد مبارزة بين رجلين ..

أو مصارعة فارسين ..

بل كانت قتال مبدأ ومنشأ وهدف ..

وهف (رودريك) ، وقد أبهكه القتال

— رائع أيها العربي — إنك تقاتل كفارس صديد ، على

الرغم من صغر عمرك .

أحابه (فارس) ، وهو يهوى عليه بسيفه

— العمر لا يقاس بالسنوات يا رجل ، وإنما بالخبرات

أصل (رودريك) ضحكة ساحرة ، وهنف

— هكذا ١٢ — ذق إذن خبرة فارس قديم

قدما وتراجع في حركة حادة ، ثم انفض بسيفه على قلب

(فارس) مباشرة ..

ول سرعة ومهارة ، مال (فارس) جانباً ، ثم فصر إلى

أعلى ، ونحزكت قدمه ودراعه في أن واحد ، فصربت قدمه

صدر (رودريك) ، في حين هوت يده بسيفه على سيف

(الفشتالي) ..

وطار سيف (رودريك) بعيداً ، وانعرس في الأرض

الخصراء ، في حين سقط صاحبه على ظهره ، وهو يهتف :

— اللعنة !!

وبقعة ماهرة ، أصبح (فارس) عند رأس (رودريك)

تماماً ، ثم رفع سيفه ، وضرب به صدر هذا الأخير ..

وتجمدت الدماء في عروق (رودريك) ، وتصور أن

الثقل الحاذق سيخوص في صدره ، إلا أنه لم يلبث أن شعر بدهشة

عارمة ، عندما اكتمت ذهابة الثقل عن صدره ، لتقطع ذلك

الطاق الحلدي الرقيق ، المربوط على صدره ، وتلتقط الخريطة

الدفاعات ، وتلقى بها عالياً في الهواء ، لتلتقطها قبضة

(فارس) في رشاقة مذهشة ..

ول هدوء وثقة ، فصر (فارس) الخريطة ، وقال في

ارتياح :

— إنها هي

ثم استدار ، وابتعد في هدوء ، فهصر (رودريك) يهتف به

في دهشة :

— لماذا لم تقتلني ؟

أجابه (فارس) في بساطة ، وهو يعيد سيفه إلى غمده ،
ويلتقط من جيبه — في حرمي — قبضة صغيرة ، داخل غلاف
جلدي سميك :

— لست أقوى إرافة الدماء بلا طائل

هتف (رودريك) في دهشة :

— بلا طائل ؟

لم يلتفت إليه (فارس) ، وإنما راح يسكب محرمات القبضة
على الخريطة ، التي تصاعدت منها أدخنة كثيفة ، وراحت
تأكل في سرعة ، لهتف (رودريك) في جرع :

— ماذا فعلت بها ؟

أشار (فارس) إلى القبضة ، قائلاً :

— إنه زيت الزراح الأخضر^(*) .. إنه يحرق الأوراق بلا نار .

حدق (رودريك) في الخريطة في ذهول ، وقد استعالت

إلى رماد محروق ، وتساقت كعشيم أسود ، بين قدمي

(فارس) ، الذي ركناها لأمبالاة ، ثم انجده نحو جواده ، فصاح

به (رودريك) في غضب :

(*) زيت الزراح الأخضر هو الاسم القديم لحمض الكبريتيك

— ولكنك لم تفز بعد .

فمز (فارس) على ظهر جواده ، وهو يقول في هدوء :

— اذهب إلى حال سيالك يا رجل لقد حصلت أنا على

ما أبتغيه .

صاح (رودريك) في جذبة :

— هداما نطئه إسي أحفظ تلك الخريطة عن ظهر قلب

أدار (فارس) جواده ، وهو يقول :

— فراء .

صاح به (رودريك) :

— بل حقيقة أيها العربي إنكم تركرون دفاعاتكم في

(لصر الحمراء) ، وعلى الحدود الشمالية الشرقية ، و....

قاطعه (فارس) في حزم :

— كفى .

ثم عاد يستدير إليه بجواده ، مستطرذا في صيق .

— إنك لم تترك لي الخيار هنا استعد سيعك

فمز (رودريك) يلتقط سيفه ، ورفعه هاتفا

— المبارزة حتى الموت .

هبط (فارس) من على صهوة جواده ، قائلاً

— نعم .. حتى الموت .

ومرة أخرى ، تقارعت السيوف ..

ولكن في هذه المرة ، كان القتال مختلف .

لم يكن هناك مجال للعفو أو التنازل

كانت مبارزة حامية ..

وحتى الموت ..



٩ — القتال ..

حدث (مهاب) حواده على الإسراع ، على الرغم من آلام
جراحه ، التي تصاعفها ارتجاجة الحواد ، وهتف به (فهد) ،
على الرغم من ثقته في عدم الحصول على جواب ، من هذا
الأخير :

— لرى هل نصل في الوقت المناسب يا (فهد) ؟

ودون أن يطر حواها ، أشار إلى الأفق مستطرذا

— لقد أشرقت الشمس قريبا ، وهذا يعني أن

(رودريك) قد بلغ (قرطبة) أو كاد

لم يمت (فهد) كالمعتاد ، وإنما حاول أن يربد من سرعة

حواده ، الذي يطلق بأقصى سرعه بالفعل ، في حين تابع

(مهاب) :

— أحشى ما أحشاه أن يواصل (فارس) المطاردة ، ويهزم

الحدود حلف (رودريك) ، فقد يتعرف أحد ربه ، ويدرك

حقيقة انتائه .

بدا وكأن ذلك الحاطر قد راد من انزعاجه ، فقد دفعه إلى
لكن جواده ، وهو يهتف :

— رباه !! لا بد أن تسرع يا (فهد) .. لا بد .

والطلق الاثنان مسابقان الرياح ..

التقى سيما (فارس) و (رودريك) ، وتصارعت
السيوف ، إلى جوار ذلك التل ، الذي يفصل ما بين (قشتالة)
و (غرناطة) ، وهذا (رودريك) شديد الحرم والحرم هذه
المرّة ، وهو يصرب سيف (فارس) بكل قوته ، هائفاً
— لن تربح هذه المرّة أيها العربي ، إنني أمسك هذا السيف
من قبل حتى أن لو لد أنت .

صدّ (فارس) السيف بمحذّ سيفه ، ورفع في قوة ، وهو
يقول :

— المهم أن تمسكه على نحو جيّد .

— تراجع (رودريك) ، ثم انقضّ بسيفه على صدر
(فارس) ، وهو يقول :

— أتريد دليلاً على قوّتي ؟

قفز (فارس) جانباً ، وتعاذى السيف ، وهو يقول :

— إنني أحرق شوقاً لهذا .

أدار (رودريك) سيفه في مهارة ، ثم أطلقه نحو معدة
(فارس) ، هائفاً :

— هاهو ذا الدليل .

كانت ضربة ماهرة بحلّ ، إلا أن (فارس) نجح في صلحها ،
وهو يقول :

— دليل على ماذا ؟

عقد (رودريك) حاجبيه في غضب ، وهو يقول :

— من الواضح أنك قد تلقيت تدريباً جيّداً أيها العربي ،
فأنت أوّل من أمكنه صدّ ضربتي الخاصة .

أجابه (فارس) ، وهو يعاود هجومه :

— إنها ضربة عادية ، طالما تبادلتها مع مدرّبي .

تعالى صلب سيفيهما ، و (رودريك) يسأله :

— من مدرّبك هذا ؟

أجابه (فارس) :

— إنه أفضل عربي يحمل السلاح ، في هذا العصر .

هتف (رودريك) ساخراً :

— هراء ..

كان من الواضح ، على الرغم من قوتيهما ، ومهارتهما القتالية العالية ، أن أحدهما يحتاج إلى جهد رهيب ، هزيمة الآخر ، وأن نتيجة الصراع صعبة الاستنتاج

ول أعماقه ، اعترف (فارس) بأن (رودريك) هذا واحد من أعظم الفرسان ، وأنه لا يصاحبه في الواقع سوى مدربه (مهلب) ..

ثم فجأة انقلبت الموازين ..

انقلبت مع ظهور ثلاثة من فرسان (قشتالة) ، على قمة التل

ولم يكذ (رودريك) بلمح رحاله ، وهم يبطون التل ، حتى أطلق صيحة طاهرة ، وهتف

— حسرت هذه المرة حقاً أيها العربي . وسيراق دمك على مشارف (قرطبة) .

وفي هذه المرة شعر (فارس) بقلق حقيقي ، فلو انضم الفرسان الثلاثة إلى (رودريك) ، بكل قوة وبأس هذا الأخير ، فسيفنى هذا أن الهزيمة ستكون من نصيبه ختمًا ..

احت (غالا) أمام ملكتها ، وهي تقول في صوت رحيم هادئ :

— مولاي .

أشارت إليها (إيزابلا) بالهوس ، وسألها في فضول واضح :

— هناك شيء يشغلني ، وأرغب في سؤالك عنه يا (غالا) ، ولكي أريد حوائج صريحتها ، واصفها ، حاسماً وعقدت حاجبها ، وهي تستدرك في صرامة .

— وإلا طردتك من خدمي إلى الأبد .

احت (غالا) رأسها الجميل ، وهي تقول

— أنا رهن إشارة مولاي ، وأقسم أن أحبها بكل الصراحة والوضوح .

سألها (إيزابلا) :

— مهما كان السؤال ؟

أحانتها (غالا) على الفور ، دون أن تردّد لحظة واحدة

— مهما كان السؤال يا مولاي .

انسمت (إيزابلا) في ارتياح ، ومالت نحوها تسألها

— هل تحبين (رودريك) ؟

وبلا تردّد في هذه المرة أيضًا ، أجابتها (غالا) .
— نعم .

تراجعت (إيراييلا) ، وعياها تسعان ، وكأنما أدهشها
الجواب ، وعثرت عن ذهنتها بقولها .

— عجبًا !!.. لم أتوقع هذا .

سألتها (غالا) هل نحو مباشر :

— لماذا يا مولاتي ؟

هزت كتفها ، وقالت :

— لم الصورك تخين .

ابتسمت (غالا) ، قائلة :

— كل امرأة ، في هذا العالم ، تحتاج إلى الحبّ يا مولاتي ،
لأن هذا جزء من أروثها وطموحها ، على عكس الرجل ، الذي
يمكنه إشباع رغباته وطموحه من خلال عمله ونجاحه .

سألتها (إيراييلا) فحاة ، في شيء من الحدة .

— وماذا عن (فرناندو) ؟

خففت (غالا) عينيها ، وأجابت :

— وهل يمكنني اعتراض مشيئة مولاي الملك ؟

رمقتها (إيراييلا) سطرّة شتّ طويلة ، ثم سألتها في بطاء .

— ماذا تفعلين لو قتل أحدهم (رودريك) ؟

رفعت (غالا) عينيها ، وقالت في حدة :

— أقتله .

هتعت (إيراييلا) ، وقد أدهشها الجواب :

— تقبلينه ؟!

ثم أطلقت صيحة طويلة ، مستطردة

— هل تخيّنني إلى هذا الحد ؟

واعتمدت مردفة ، دون أن تنتظر جوابًا .

— استعدي إذن يا عزيزي (غالا) ، فـ (رودريك)

يراحه الآن فارسًا عربيًا صديداً ، وقد ينهي الأمر لعير صالح

فارسك .

وأطلقت صيحة أخرى ، وهي تغادر المكان ، في حين

بقيت (غالا) لحظات ، وقد احتض وجهها ، ثم لم تلبث أن

عقدت حاجبها ، وقالت في حزم :

— لن تخلف النتيجة ، بالنسبة للفارس العربي يا مولاتي ،

إلّا أن يقتله (رودريك) أو أقتله أنا .

وكان هذا كَسَمًا ..

أو نبوءة ..

تصاعقت قوة (رودريك) ، وتصاعف حماسه ، وهو
يصر ب سيف (فارس) بسيفه ، ويصرح

— حسرت أيها العربي حسرت . لقد وصل رحالي
كان (فارس) يعلم أنه على حق ، فلا قبل له بمواجهة فارس
رهيب كـ (رودريك) ، مع ثلاثة آخرين في آن واحد

وراح (رودريك) يطلق صرخات مجلجلة ، تموج بالطمر
والشمانة ، حتى وصل الرجال الثلاثة
وكان على (فارس) أن يواجه الأربعة

وعلى الرغم من استحالة انتصاره هذه المرة ، راح
(فارس) يقاتل في بسالة مقطعة الطير ، في حين هتف
(رودريك) :

— أريد حيا .. لا تقتلوه .

ثم انقض بسيفه على (فارس) ..

وفي هذه المرة لحج سيفه ، وأطاح بسيف (فارس)

ومع صرخات (رودريك) الشامتة ، انقض الفرسان

الثلاثة على (فارس) ، وكنلوا حركته تماما ، فهتف في غضب

— يا للعار ! أي فارس أنت يا (رودريك) ؟

أطلق (رودريك) صرخة متشعبة ، وهو يقول

— فارس (قشتالي) أيها العربي .

هتف (فارس) في ازدهاء :

— هُزأ .. إنك لا تستحق لقب الفارس قط ، فالفارس

الحق يقاتل بذراعه ، لا يدعو الآخرين للتكالب على خصمه .

مط (رودريك) شفاهه ، وقال :

— لست المهمل هذا المطلق أيها العربي .. ما أفهمه هو أن

الفارس الحق من يربح معاركه بأية وسيلة .

قال (فارس) في احتقار :

— ليس هذا مبدأ الفرسان .

رفع (رودريك) سيفه ، وقال :

— إنه مبدأ (رودريك) إذن .

وأطلق صرخة ساحرة ، قبل أن يستطرد :

— أبلغ هذا المبدأ من متلفي سهم في الجحيم ، من أرسلتهم

إليه قبلك .

ثم هتف بزملائه :

— أحثوا عُنقه .

حاول الثلاثة أن يهروا (فارس) على الانحاء ، إلا أنه قاوم

في بأس شديد ، وهو يقول في صرامة .

— لا أيها 'لقشتالي' . لن ينحني عرني أمامك قط .
أطلق (رودريك) ضحكة عالية ، أكثر شحرة ، وهو
يقول :

— لا بأس أيها العربي .. لا تنخن .
ثم رفع سيفه عاليًا ، مسطرًا :
— اذهب إلى الجحيم واقفًا .
وأطلق نصل سيفه نحو عني (فارس) ..



١٠ — الختام ..

كان (رودريك) يطلق ضحكة ساحرة شامة ظافرة ،
عالية ، وهو يجر سيفه على عني (فارس) ، وقد ألقى ثمانًا
من النصارى ..

ثم هزت صاعقة القدر على عنقه هو .

لجأة ، احسبت ضحكة في حلقه ، وجعلت عيائه في
المر وذخول ، وأطلق الفرسان الثلاثة شهقة ذعر وذخول ،
وهم يمشقون فيما أحياه ..

لقد مرق سهم حاد في الهواء ، وانفوز في عني
(رودريك) ، محترقا حنجرته ، ولقد من مؤامرة عنقه ..

وتولج (رودريك) ..

تولج لحظة واحدة ..

ثم هوى ..

وسقط جاموس (قرطبة) حلة هامة ..

وأدار (فارس) عنقه إلى الجهة ، التي انطلق منها

السهم ..

وبنظرة واحدة أدرك كل شيء ..

فهناك . عند تل قريب ، كان جواد أسود (أدهم)
يسطلق ، وعمل معه رنح من البها ، معقول العسلات ، يلقي
سهما آخر لقوسه ، وعمله جواد يحطيه رجل أذهب الفؤدين ،
عرجى المنكين ..

ولى عمرة المهاجاة ، دفع (فارس) جسده إلى الخلف ،
وألفظ الفرسان الثلاثة أرضاً معه ، ثم تخلص من قضايمهم ،
وهب والمفا على قدميه ، وهو يهف
— الآن انحطت الأمور .

انحط سيفه ، ل نفس اللحظة التي انقض عليه فيها
الفرسان الثلاثة ..

ودار سبله على سيوفهم .

كان يتلقى ضربة سيف على سبله ، ويهادى أخرى في
رشاقة ، ويدفع قدمه في صدر الثالث .

كان يقاتل في بأس مقطع الظير
وحذل سيفه واحداً من الفرسان الثلاثة

ثم وصل (فهد) و (مهاب) ..
وتراجع أحد الفارسين الباقيين ، وقمر على صهوة جواده ،
وانطلق به هاتفاً :

— من الحماسة أن يقاتل المرء في معركة خاسرة

ووجد الفارس الثالث نفسه وحيداً ، أمام سيوف أبطال
الثلاثة ، فألقى سيفه هاتفاً في حق
— حسناً .. إننى أستسلم .

أعاد الثلاثة سيوفهم إلى غمدتها ، وقال (فارس) للرجل
— هيا .. اذهب .

لم يصدق (القشتالي) نفسه ، فأسرع يعتلي متن جواده ،
ويطلق به عائداً إلى (قشتالة) ..

والفت (مهاب) إلى (فارس) ، وسأله في لهفة .

— هل استعدت الخريطة ؟

أجابته (فارس) :

— نعم يا صديقى .. لقد استعدتها ، ودفرتها . هذا لله
على سلامتك أنت .

ثم رفع عييه إلى (فهد) مستطرداً

— أشكرك يا (فهد) . لقد أعدت حياتي مرتين .

لم يجب (فهد) ، وإنما لاح في عييه بريق امتنان ، وانحس
أمام مولاه ، ثم ولب فوق حواده ، ولكرة في مهارة ، وانطلق
به مخفياً في الأفق ..

وهتف (فارس) في دهشة :

— إلى أين يذهب ؟

اتسم (مهاب) ، ولحس جراحه في ألم ، وقال :

— لا تقلق نفسك بشأنه .. إنه كجواد برّى ، لا يمكنه أن

يتقيد بمجتمع منظم ..

ثم ربت على كتف (فارس) ، مستطردًا :

— المهم أنك قد ربحت معركتك يا هسي .. معركتك

الأولى ..

عقد (فرناندو) حاجبيه في غضب ، وهو يتف :

— استعاد الخريطة ١٢ .. كيف ؟

أجابته (إيزابيلا) ، والحنق بملأ كل حرف تنطق به :

— لقد قتل (رودريك) ، وواجه مع رفيقين له فرسانك

الغالة ، وقتل أحدهم .

صاح (فرناندو) في شخط :

— اللعنة !

وارتشف رشفة من كأس الخمر بين يديه ، واستطرد :

— هذا يعني أن محاولتنا الأولى لهزيمة العرب ، وطردهم من

(الأندلس) قد فشلت .

قالت مُحَنَّة :

— المهم ألا تفشل المحاولة الثانية .

قال في حدة :

— لن تفشل .

وشرد ببصره لخطات ، ثم أضاف :

— ولكنني لن أسعى مرة أخرى لسرقة غرائط دفاعية .

سأله في دهشة :

— ماذا ستفعل إذن ؟

صمت لخطات ، ثم التفت إليها ، وقال في حزم :

— سأسعى لاحتراق حصنهم الحصين .

وجلس على عرشه ، مستطردًا :

— قصر الحمراء .

عقدت حاجبها ، وهي تسأله :

— لكن كيف ؟ .. أنت تعلم أنهم يؤكثون اهتمامًا بالغًا ،

ويحرصون عليه أحد الحرم ، فهو آخر حصونهم .

اتسم في نحيب ، قائلاً :

— لا يمكنك اقتحام حصن حصين بالقوة .

سأله في اهتمام :

— كيف يمكنك الحمامة إذن ؟

أشار إلى رأسه ، وأجاب :

— بالعقل والحيلة .

سأله وقد بلغ فضولها مبلغه :

— كيف ؟

أطلق ضحكة مأكرة قصيرة ، وقال :

— ذبى الأمر لى هذه المرة يا عزيزتى ، وسأريك كيف

يعمل الرجال ..

وأطلق ضحكته المأكرة مرة أخرى ، فى حين اعتدلت

(غالا) ، التى تسترق السمع من الحجرة المجاورة ، وقالت لى

بعض وكراهية :

— اتحسم قصر الحمراء أو لا تفتحهم يامرلاى ، ولكن

(غالا) لن تهرك ثأرها أبدا ..

وأخرجت من طيات ثيابها بجنجرا حاداً ، وهى تستطرد :

— سأقتل ذلك الفارس العربى الأبيض ، مهما كان

الثمن ..

قالتها وتألقت عيناها ببريق مخيف ..

بريق النار ..

أطلق (فارس) تهيدة قوية ، وهو يقود جواده ، إلى جوار

جواد (مهاب) ، الذى التفت إليه بسأله :

— ماذا لديك ؟

أجابه (فارس) :

— كنت أفكر فيما حدث هذه المرة .

اتحسم وهو يسأله :

— وما الذى توصلت إليه ؟

هز كتفيه ، قائلاً :

— أظننى أحتاج إلى مزيد من الخبرة .

ضحك (مهاب) ، وقال :

— ستحصل عليها مع الوقت .

سأله (فارس) :

— أظننى قد أحست الفعل هذه المرة ؟

ربت (مهاب) على كتفيه ، وهو يقول :

— لقد كنت رائعاً .

سأله :

— وهل يمكننى أن أستمروا فى عمل هذا ؟

ضحك (مهاب) مرة أخرى ، وقال :

— لا يوجد مخلوق واحد ، في العالم أجمع ، يمكنه أن يجيب
سؤالك يا (فارس) ..

ورثت على كفه مرة أخرى ، مستطرذا :
— ستدرك هذا وحدك .

وحده !! ..

كم هي صادقة هذه الكلمة ..

كم ستطبق على حياة (فارس) فيما بعد ...

لقد شاء القدر أن يواصل (فارس) رحلته وحده ، لإعلاء
راية العرب في قلب (الأندلس) ..

أن يقاتل وحده أوراق التاريخ ، المتساقطة عن شجرة
الحياة ، في غريف أعظم حضارات العرب ..

وأن يبقى وحده الفارس ..

فارس (الأندلس) ..

[تحت بحمد الله]

٤٦٨٤
رقم الإيداع : ٩٧٧ / ٢٦٦ / ٠٠٣ / ٢
١٢٨



فارس الأندلس
من البطولات العربية
في أخرج فترة للعرب في أسبانيا

جاسوس قرطبة

- ما ذلك السر الغامض ، الذي يحيط بمشأ (فارس الأندلس) ؟
- من ذلك الجاسوس ، الذي أرسله ملوك (قشتالة) ، من (قرطبة) إلى (غرناطة) ؟
- ترى من يبيع الحركة ، في أيام (الأندلس) الأخيرة ؟
- (فارس) ، أم (جاسوس قرطبة) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وعش عصر فرسان (الأندلس) .

الأميرة الأسيرة

الرواية القادمة :

المؤلف



د. نيل فاروق



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطباعة والنشر والتوزيع
بمصر - شارع محمد علي - 11511

التمن في مصر
وما يعادله بالدولار الأمريكي
في سائر الدول العربية والعالم